البُعدُ النَّفسيُّ في رثاءِ الزوج

ديوان الخِرْنِق بنت بَدر أنموذجاً

إعداد

دكتورة / رضا رمضان أحمد

أستاذ الأدب والنقد المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة

شعبة اللغة العربية – قسم الأدب والنقد

البُعد النَّفسي في رثاء الزَّوج
ديوان الخِرْنق بنت بَدر أنموذجا

رضا رمضان أحمد

قسم الأدب والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة – جامعة الأزهر .

البريد الالكتروني : RedaAkra1201.el@azhar.edu.eg

الملخص البحث : يقوم البحثُ على دراسة أبيات شعرية نظمتها شاعرة جاهلية هي الخِرْنق بنت بَدْر في رثاء زوجها ، وإجراء تحليل فني لهذه الأبيات يتضح من خلاله البُعد النَّفسي الذي دفع الشَّاعرة إلى نظمها .

وتتمثل أهميّة البحث في كون هذه الدّراسة كاشفة عن أهم ملامح شخصية المرأة العربية الجاهلية ، وما اتصفت به من الوفاء لزوجها والولاء لقومها ، والتّعبيرعن شدة حزنها وما تُعانيه الشَّاعرة ومن في مثل حالها من فقد الثِّقة بالآخرين ، وتوقّع حُدوث الأزمات والمخاطر بشكل ظاهر وشعور متزايد .

واعتمدتُ في سير البحث على المنهج الفني النَّفسي للكشف عن الجوانب التحليلية في النَّص وكيف استخدمت الشَّاعرة الألفاظ على دقتها ، والأساليب على اختلافها ، والصورعلى تعددها ، والموسيقا على تنوعها ، للكشف عن الإحساس بمرارة الفقد .

وقسمتُ البحث إلى مقدمة وتمهيد وفصلين ، وفي المقدمة تحدثتُ عن الأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع ، والدّراسات السابقة وكيفية تناول المادة الأدبية فيها ، وما أهدفُ إليه من خلال البحث ، وما أردتُ إضافته من خلال هذا الطّرح الجديد .

وفي التمهيد تحدثت عن تجليات البعد النفسي في رثاء الخرنق لزوجها وما يتصل بذلك من الحديث عن الانفعال والالهام والأنا والاستدعاء والباعث ، والأسى ...

ثمّ الفصل الأول : وفيه تحدثتُ عن التّعريف بالشّاعرة وعصرها ، ثمّ عن رثاء الزَّوج عبر العصور الأدبية .

ثم الفصل الثاني : وفيه دراسة فنية نفسية في شعر رثاء الزَّوج عند الخِرْنق تناولتُ من خلالها قصائد ومقطوعات يتضح فيها الأبعاد النَّفسية في رثاء الخِرْنق لزوجها .

ثم أوجزتُ نتائج البحث، وأتبعتها بالتوصيات ، والمقترحات .

الكلمات المفتاحية: (الرثاء – رثاء الزَّوج – الخِرْنِق – الفني – النفسي – التحليلي)

The psychological dimension in the husband's lamentation
The Diwan of Al-Kharnaq Bint Badr is a model

Reda Ramadan Ahmed
Department of Literature and Criticism - Faculty of Islamic and Arab Studies in Mansoura - Al-Azhar University.
RedaAkra1201.el@azhar.edu.eg Email:

Abstract:

The research is based on studying poetic verses composed by a pre-Islamic poet, Al-Kharnaq bint Badr, in lamentation for her husband, and conducting an artistic analysis of these verses through which the psychological dimension that prompted the poet to compose them becomes clear.

The importance of the research is that this study reveals the most important features of the personality of the pre-Islamic Arab woman, and what characterized her in terms of loyalty to her husband and loyalty to her people, and the expression of the intensity of her grief and the loss of trust that the poet and those in her situation suffer from in others, and the expectation of the occurrence of crises and dangers in a visible and increased sense.

In the course of the research, I relied on the psychological artistic approach to reveal the analytical aspects of the text and how the poet used precise words, different styles, multiple images, and diverse music to reveal the feeling of bitterness of loss.

I divided the research into an introduction and two chapters, and in the introduction I talked about the reasons that led to choosing the topic, previous studies

and how to deal with the literary material in them, what I aim to achieve through the research, and what I wanted to add through this new proposal.

Then the first chapter: In which I talked about introducing the poet and her era, then about lamenting the husband through the literary eras.

Then the second chapter: which contains an artistic and psychological study of the poetry of the husband's lamentation at Al-Kharnaq, through which I dealt with three pieces in which the psychological dimensions of Al-Kharnaq's lamentation for her husband become clear.

Then I summarized the research results, and followed them with recommendations and suggestions.

Keywords: (lamentation - husband's lamentation - eulogy - artistic - psychological - analytical)

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة)

يتعرض الإنسان في حياته للعديد من الأحداث ، والمواقف قَدْ يتجاوز بعضها وتمرّ مرور الكرام ، والبعض الآخر لا يستطيع أنْ يَتَخطاها ، ويَظن أنّه بمرور الوقت ، وتتابع السنين قادر على نسيانها ، فإذا به يكتشف بعد حين أنّها قد تركت في نفسه جُرحًا غائرًا لا يَنْدمل ، وأثرًا في قلبه لا يطيب ، وعندما يُغالبه الحنين ، وتَصْرَعه الذّكريات ، يَنْقاد معهما طوعًا أوكرهًا فيجد نفسه بين أمواج عاتية من مشاهد الذّكرى المُؤلمة ، وصور من الماضي التّليد، وعَبق من رحيق الذّكريات الخانقة .

عندئذٍ يُدرك أنّه قد وَقَعَ فريسة لأيام كشفت له عن وجهها العابس ، وأنيابها المسنونة ، وبراثنها الحادة عندما صرعته بفقد عزيز على النّفس ، حبيب إلى القلب . فإذا كان من أولئك الذين يملكون صنعة البيان ، ونظم الشّعر وجد فيهما متنفسًا ، وإلا بحثَ عمّن يتحدث بلسانه ، ويُعبّر عن هواجس نفسه ، ونبضات قلبه الحزين .

هذا ما حَدَثَ معي ... عندما فقدتُ زوجًا حانيًا ، وقلبًا بالحبِّ عامرًا ، ويدًا تدفعني إلى الأمام دائمًا ، فقدتُ صوتًا كان يُبارك خطواتي ... فمن الآن يقرأ كلماتي ؟ و يمدح عباراتي ، ويفهم ما بين سطور صفحاتي ؟

يا ليتَ شعري ... لو كنتُ أملكُ نظم الأبيات لصنعتُ له تاجًا مُزينًا بالكلمات ، ومُرصّعًا بأجملِ العبارات ... وبما أنّي لا أستطيع ذلك فعليّ أن أبحث عمّن تُعبّر بنظمها عن نفسي ، وتُسْمِعُ الآخرين أنين صوتي.

ذهبتُ أقرأ في مكتبة الشعر العربيّ قديمه وحديثه حتّى أعياني البحث ، فالشائع أن يرثي الرّجل زوجته وليس العكس لأسباب اجتماعية ، ونفسية تتفق وطبيعة المرأة بوجه عام ، والمرأة العربية بوجه خاص ، حتّى وقع بين يديَّ

ديوان شاعرة عربية تنتمي إلى عصر الجاهلية إنها: الخِرْنِق بنت بَدر بن هِفَان . فتصفحت ديوانها ، وعشتُ بين أبياته ومقطوعاته فوجدتُ فيها ضالتي المنشودة وما يُغري بالدّراسة ، فبحثتُ عن الدراسات السابقة لهذا الديوان فوجدتُ ثلاثة بحوث تتوثق الصّلة بينهم وبين الدِّيوان البحث الأول بعنوان : " البعدُ القبليُّ في رثاء الخِرْنق" بحث من إعداد د/ إبراهيم صالح حُسين ، ومنشور بمجلة الجامعة العراقية العدد الثالث والأربعين المجلد الأول لسنة ٢٠١٩م ، والثاني بعنوان : "شعر الرثاء بين الخِرنق والخنساء – دراسة موضوعية وفنية " من إعداد د/ يمنى أحمد الغندور ، ومنشور بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة ، العدد الثامن والثلاثين ، الجزء الأول لسنة ٢٠٢٠م ، والثالث بعنوان : ديوان الخِرْنِق : دراسة فنية " بحث مُقدّم من د/ زكريا صيام ، ومنشور بمجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب العدد الثاني المجلد الثامن لسنة ٢٠٢١ م . البحث الأول يهتم فيه الباحث بالوقوف عند بعض الظّواهر التصويرية التي يتضح من خلالها مدى ارتباط الشاعرة بقبيلتها وتعبيرها عن قومها من خلال رثائها لزوجها ، والبحث الثاني توازن فيه الباحثة بين شعر الرثاء عند الخرنق ونظيره عند الخنساء ، والبحث الثالث يتحدث فيه الباحث عن الشاعرة وعصرها وموضوعات الشعر في الدِّيوان مشفوعة ببعض التحليل الفني الجيد للأبيات .

فتوقفتُ مَليًّا أراجعُ نفسي ، وأنظرُ في أبيات الدِّيوان وأقلبُ النظر فيها فأدركتُ أنّ هناك بُعدًا نفسيًّا هامًا في رثاء الخِرْنِق لزوجها تُعبّر من خلاله عن نفسها وعن كلّ امرأة أصيبت بالتّرمل مثلها ، وأنَّ في ألفاظها ، وأساليبها ، وصورها بل ، وفي موسيقاها الشِّعرية وإيقاعاتها النَّغمية ، والرَّويّ الذي غَلّفت به أبياتها ما يكشف عن مرارة التَّجربة ، وكلّ تجربة مشابهة . وتأكد لي ذلك عندما قرأتُ بعض الدراسات النّفسية التي تقوم على التَّشريح النَّفسي

للأرامل وما تُعانيه فئة كبيرة منهن من إحساس بالضَّياع ، وفقد الشُّعور بالأمن والأمان ، و فقد الثِّقة بالآخرين ، وتَوقّع حدوث الأزمات والمخاطر بشكل كبير وشُعور مُتزايد .

فحاولتُ جاهدة أن أقف على شواهد ذلك وأدلته في رثاء الخِرْنق لزوجها بما يكشف من قريبٍ أو من بعيدٍ عن البُعد النَّفسيّ في رثائها لزوجها ، وكيف ترجمت عمَّا يختلج في نفسها ، ونفس غيرها ممن لهنَّ مثل الظّروف المشابهة، مستعينة على ذلك بأدوات التَّحليل الفني لأبيات رثاء الزّوج في الدِّيوان ، ومستضيئة بما قرأته من الدراسات السابقة لشعر الخِرنق ، وطريقة المعالجة، وبعض الآراء الواردة فيها ، ومبينة ما اتفقت فيه مع بعضها وما خالفته منها .

وتم وضع مجموعة من التساؤلات تدور حولها النقطة المركزية في البحث منها في محاولة للإجابة عنها:

كيف استطاعت الشاعرة التعبير عن أزمتها النفسية من خلال أبياتها وقصائدها ؟

كيف تم توظيف الألفاظ والأساليب ، والصور والأخيلة ، والوزن والموسيقا تعبيرا عن الإحساس بالفقد والضياع ؟

كيف استطاعت الشاعرة من خلال رثائها لزوجها أن تكشف لنا عن كثير من صور ، وتقاليد ، وأعراف المجتمع الجاهلي ؟

ثم رسمتُ خُطة البحث ومن قبلها حددتُ معالم الطريق ، ومسار البحث الذي فرض بطبيعة الحال المنهج الفني النَّفسي طريقًا يُصاغ من خلاله مادة البحث فكانت الخُطة كالآتي :

(المقدمة) وفيها تحدثتُ عن : الأسباب التي دعت إلى اختيار الموضوع ، والتساؤلات التي يجيب عنها البحث ، وبعض الدراسات السابقة وطريقة التناول فيها ، وغايتي من البحث وإلى ما يهدفُ ، والمنهج المتبع ، وخطة السّير فيه.

(تمهيد) تحدثت فيه بشكل موجز عن **تجليات البعد النفسي في رثاء الخرنق لزوجها** ، وخلفياته من الإلهام ، والإبداع ، والوحي ، والانفعال ، وتعظيم

إحساسها بالحزن لفقد زوجها ، وبعض شواهده في أبياتها ، وأرجأت تفصيل ذلك بالإحالة إلى الدراسة التطبيقية في البحث تجنبا للتكرار .

(الفصل الأول) بعنوان " الشَّاعرة بين عصرها ورثائها لزوجها " تحدثتُ فيه عن : التعريف بالشَّاعرة وهو محدود للغاية شأنها في ذلك شأن كثير من شعراء العصر الجاهلي الذين لم نعرف عنهم إلا القليل ، ثم أتبعتُ ذلك بحديث موجز عن أهم ملامح عصرها وطوابعه في شعرها .

ثم ختمتُ الفصل بالحديث عن : " نظرة عامة في رثاء الزَّوج في الشِّعر العربي "مُبينة من خلال الحديث أبرز الشَّاعرات اللاتي نظمن في رثاء الزَّوج قديمًا وحديثًا فقصائدهن تُعد تتويجًا لما بدأته الخِرْنِق منذ زمن بعيد في هذا المضْمَار .

(الفصل الثاني) بعنوان " الدِّراسة الفنية النَّفسية في رثاء الخِرْنِق لزوجها "

وفيه وقفتُ عند القصائد والمقطوعات التي نظمتها الخِرْنِق في رثاء زوجها وبيّنتُ من خلال الدراسة والتحليل العديد من الملامح النَّفسية التي يتضح من خلالها البُعد النَّفسيّ لهذا الرثاء ، وقد وضعتُ لكل قصيدة ومقطوعة عنوانًا يعبّر عن محورها والنقطة المركزية فيها فكانت الأولى بعنوان " صور وشخصيات " والثانية بعنوان " ندب الزّوج " والثالثة بعنوان " الفخر بالزوج والقبيلة " والرابعة بعنوان " صوت الذكريات " والخامسة بعنوان " تأبين ووفاء " والسادسة بعنوان " مشاهد من الطبيعة والطرد . "

ثم (الخاتمة) ذكرتُ فيها : أهم نتائج البحث والتوصيات والمقترحات .

ثم (فهرس المصادر والمراجع) التي استعنتُ بها على تمام البحث مرتبة ترتيبًا هجائيًا حتّى يسهل الرّجوع إليها لمن أراد.

والله أسأل أنْ ينفعني بما كتبتُ ، وأنْ ينفع به غيري ، وأعترفُ أنّي اجتهدتُ قدرَ طاقتي ، وعالجتُ في هذه الأطروحة زوايا مختلفة في الدِّيوان ، بعد أنْ عشتُ بين صفحاته ، وشعرتُ بكل كلمة نظمتها الشَّاعرة ، ففيها وجدتُ صدى صوتي ، وتنفيسًا عما تحتويه خلجات نفسي ، وطوايا قلبي .

(التمهيد)

تجلّيات البعد النفسي في رثاء الخرنق لزوجها

آمن العربي القديم أن هناك قوى غيبية تتجاوز قوى البشر تسيطر على الشعراء أثناء نظم الشعر ، وربما نسب بعضهم ذلك إلى قوة خارقة غير مرئية تتمثل في الجن والشياطين ، وذاع هذا المعتقد ، وأصبح راسخا لا تغيره قناعات، حتى بلغ الأمر أن تغنى أحدهم وتفاخر بأن تفوقه الشعري يرجع إلى كون شيطانه ذكر ، وغيره من الشعراء شيطانه أنثى [1] .

وأدرك ابن قتيبة أن للشعر أوقات يبعد فيها قريبه ، وأقات أخرى يُقرّب فيها بعيده ، وأن له دواع تبعث إليه كالرغبة أو الرهبة أو الطرب[2].....

ولم يكن إدراك ذلك ببعيد عند النقاد المحدثين ، فتراهم يتحدثون عن الإلهام[3] والوحي الذي يشبهه ، ولحظات الإبداع وكيف تتم واعتبر أحدهم أن الإلهام ، والوحي ، والإبداع مترادفات لمعنى واحد[4].

---

[1] – أنشد أبو النجم العجلي :

إني وكل شاعر من البشر ..... شيطانه أنثى وشيطاني ذكر – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب – البغدادي – تحقيق وشرح : عبد السلام هارون – ط– مكتبة الخانجي ١/ ١٠٣

[2] – الشعر والشعراء – ابن قتيبة الدينوري – تحقيق : أحمد محمد شاكر – ط– دار المعارف – مصر – ٧٨/١

[3] – الإلهام : لحظات الإبداع الفجائية – الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – د/ مصطفى سويف – ط– دار المعارف – مصر ١٩٥١م ص ١٧٥

[4] – التفسير النفسي للأدب – د/ عز الدين إسماعيل – ط– مكتبة غريب – مصر ط– الرابعة ص ١٧١

ومما لا شك فيه أن الشاعر في لحظات إبداع قصيدته الرثائية يقع تحت تأثير انفعال [١]ضاعط بالتجربة المؤلمة التي يعيشها فتظهر بواعثها[٢] في قصيدته من الشعور بالأسى[٣] العميق الذي يدفعه دفعا إلى التعبير عنه من خلال وسائل عدة منها البكاء ، والغضب ، والحديث عن معاناته في ظل الفقد ، واستدعاء[٤] الذكريات التالدة ، وهو في سبيل ذلك يستعين بألفاظ وأساليب ، وصور وأخيلة ، ووزن وإيقاع [٥]يعبر من خلال تلك الأشياء عن مكنون نفسه، وما يضمره قلبه.

ومن هنا كان لشعر الرثاء بُعدا نفسيا [٦]خاصا ، لاسيما إذا كان الراثي أنثى وما عُرفت به الإناث من رقة العاطفة وسرعة التأثر ، والانكفاء على

---

[١] – الانفعال : استثارة وجدان الفرد وتهيج مشاعره ، وهو أمر متعلق بحاجات الكائن الحي ودوافعه – معجم علم النفس والتحليل النفسي – تأليف د/ فرج عبد القادر وآخرون – ط– دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – ط– الأولى – ص ٧٣

[٢] – الباعث : الحافز – مبررات وتفسيرات الفعل من خلال تقديم أسباب دافعة ومقنعة لهذا الفعل – معجم المصطلحات الأدبية – إعداد : إبراهيم فتحي – ط التعاضدية العمالية – تونس ١٩٨٦ص ٦٠

[٣] – الأسى : ثقل الوجدان بالحزن الشديد – معجم علم النفس والتحليل النفسي ص ٥٠

[٤] – الاستدعاء : نوع من أنواع التذكر يقوم فيه الفرد باستحضار مادة يتذكرها فيستجيب بها – المرجع السابق ص ٤٧

[٥] – الإيقاع : امتداد للأعراض الجسمية التي تصاحب الانفعال ، وله وظيفة هامة فهو يساعد على تحطيم الفواصل بين شعورنا ، وشعور الفنان فيفتح لنا الدخول في عالم شعوري واحد – الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – د/ مصطفى سويف ص ١٩٥

[٦] – البُعد النفسي : له أكثر من تعريف ويمكن إجماله في الآتي : أنه مجمل مقومات الحالة النفسية للشخصية ويقصد به الأحاسيس والسلوكيات ، والمزاج ، والأفكار ، والمبادئ =

الحزن ، أضف إلى هذا كله ما إذا كان المرثي زوجا ، فالحدث جلل ، والخطب عظيم .

هذا ما حدث مع الخِرْنق بنت بدر التي وجدت حياتها تمر بمنعطفات عدة ، وأطوار متعددة ، حيث كانت منذ نعومة أظفارها متمتعة برهف العيش، تتوسد السيادة والزعامة من قومها عامة ، وزوجها سيد بني أسد خاصة ، وأخيها ربيب الملوك ، ورفيق الزعماء طرفة بن العبد ، وهذا مالم تعبر عنه الشاعرة في ديوانها إلا عند استحضار الذكريات العذبة ، وصورة الأيام الخوالي.

والطور الثاني من حياتها تبدل الحال بمقتل زوجها وابنها ، وهزيمة قبيلتها، فتجرعت كؤوس الذلة والمهانة ، وذاقت ويلات الضياع والتشرد، فاتخذت من رثائها لزوجها سبيلا للتعبير عن تلك الحال .

أما عن الطور الثالث ، فيخص تلك الفترة التي عاشتها بعد أن انتقلت رغما عنها إرثا لابن زوجها ، وهي كارهة له فقد كان سببا في قتل أخيها من أمها طرفة بن العبد [1].

والقيم التي تؤمن بها الشخصية ، ومميزاتها النفسية والخُلقية ، ويعتبره البعض مرادفا للسمة والخاصية . لمزيد من التفصيل راجع :

– معجم علم النفس والتحليل النفسي ص ٨١

– البعد النفسي في الشعر الفصيح والعامي – قراءة في الظواهر والأسباب – تأليف : وعد عباس – نشر مكتبة هنداوي ٢٠١٨

– البعد النفسي في شعر مالك بن الريب التميمي د/ محمد عبد الدايم – نشر مركز اللغات والترجمة بأكاديمية الفنون – مصر

[1] – انظر مناقشة ذلك بالتفصيل بالفصل الثاني من هذا البحث في دراسة المقطوعة الرابعة " تأبين ووفاء "

وفي تلك الفترة عاشت الخرنق مضطربة ، تتنازعها أحاسيس متناقضة ، وقد سجلت هذا التناقض شعرا فتجد في شعرها هجاء لهذا الرجل ، ثم رثاء فيه.

وعندما نتصفح ديوان شعر الخرنق نجده تتنوع أبياته بين الرثاء أو الفخر أو الهجاء ، ويبلغ إجمالي عدد أبيات الديوان تسعة وخمسون بيتا .

وتتوزع الأبيات بحسب الأغراض السابقة كالتالي :

تسعة وثلاثون بيتا في رثاء الزوج .

ستة أبيات في الفخر بقومها.

اثنا عشر بيتا في الهجاء ، سبعة أبيات منها في هجاء عبد عمرو بن بشر ، وخمسة أبيات في هجاء عمرو بن هند .

بيتان في رثاء أخيها طرفة بن العبد.

وبذلك فقد مثّل رثاء الزوج في الديوان بالنسبة لجملة عدد أبياته ٦٦٪ من إجمالي عدد أبيات الديوان .

وكأنّي بالشاعرة قد عاشت راثية ذكرى زوجها ، ما تفتأ تذكره إلا هيّجت كوامن الذكرى في نفسها فهبت ترثيه وترتشف قطرات من معين الذكرى التالدة ، لعلها تجد في استرجاع الماضي قوة تعينها على تخطي صعوبات الحاضر ، والمستقبل .

فقد جاء شعر الخرنق معبرا عن نفسها التي تجرّعت كؤوس الحرمان ، وفقدت الأمن والأمان بفقد زوجها ، وضياع السيادة والزعامة لقومها ، فدفعها هذا الإحساس إلى رثاء زوجها بل ورثاء قبيلتها من خلاله فذاتيتها تتلاشى

أمام تمسكها بالقبيلة ، وتضعف لديها " الأنا " [١] في مقابل الإيمان بقوة قومها والفخر بهم ، فيعلو صوتها رافضة اللوم من العاذلة على شدة حزنها قائلة :

أعاذلتي على رزءِ أفيقي .... فقد أشْرقْتني بالعذل ريقي[2]

وأقسمت أن لا تأسى على أحد بعد موت زوجها فصوّرت ذلك قائلة :

ألا أقسمتُ آسى بعد بشرٍ ..... على حي يموت ولا صديقِ

وشاركتها نساء قبيلتها إحساس الحزن فقد أصابها ما أصابهم ، فأكثرن من البكاء والعويل حتى أصبح من المستحيل أن يستقر لهن كحل في أعينهن :

وبيضٍ قد قعدن، وكل كحلٍ ..... بأعينهن أصبح لا يليقُ

وضاعت بضوعهن ورخصت مهورهن بعد ما حدث لهن بفقد سيدهن وزعيمهن فقالت :

أضاع بضُوعهن مُصاب بشرٍ .... وطعنة فاتكٍ فمتى تفيقِ ؟

وترثي قومها وتحزن لما حلّ بهم ، وبزوجها وتدعوا لهم ألا يصيبهم هلاك أو مكروه :

لا يبعدن قومي الذين همُ ..... سُمّ العداة وآفة الجُزرِ [٣]

وتسبغ عليهم وعلى زوجها من جميل الخلال والخصال فهم : كرماء ، شرفاء، شجعان يترفعون عن الدنايا ، لا يعرفون لغط القول ، ولا فاحشه ، لا فرق عندهم بين فقيرهم وغنيهم . (وسوف يُفصّل ذلك في الدراسة التطبيقية في الفصل الثاني من البحث .)

---

[١] – الأنا : تعبير يعني الذات الواعية ، وقد يعني الغرور وحب النفس – معجم المصطلحات الأدبية ص ٤٧

[2] – ديوان شعر الخرنق بنت بدر بن هفان – تحقيق د/ حسين نصار – ط– دار الكتب المصرية – القاهرة – ١٩٩٦ ص ٢٦ وما بعدها

[٣] الديوان ص ٢٩

وفي طورها الثالث تعبر عن مشاعر متناقضة ، ونفسية مضطربة ، ورؤية ضبابية لما يحدث حولها بعد أن انتقلت عنوة إلى ابن زوجها كارهة له منفذة حكم الجاهلية فيها ، وما ارتضوه من عُرف له سند القانون وقوته ، فتراها تهجوه تارة لتقاعسه عن الأخذ بالثأر من قتلة أبيه ، وتارة أخرى ترثيه رثاءً باهتا ظاهره رثاء له ، وباطنه رثاء لزوجها سيد بني أسد ، وسوف يتضح ذلك عند دراسة النص في الفصل الثاني .

(الفصل الأول)

(الشَّاعرة بين عصرها ورثائها لزوجها)

أولاً : التَّعريف بالشَّاعرة :

إنَّها الخِرْنِق بنت بَدر بن هِفَان بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة... والخِرْنِق ولد الأرنب ، يكون للذكر والأنثى [١] . أخت طَرفة بن العبد وأمهما وردة يتفقان في الأم ويفترقان في الأب[2] .

شاعرة من شواعر العرب لم يُطالعنا التَّاريخ الأدبي عنها بالكثيرِ . شأنها في ذلك شأن العديد من بنات جنسها في عصرها إنَّها " واحدة من فصيحات العرب في عصر الجاهلية ، وكان العرب حتّى بعد مجيء الإسلام يرددون شعرها في الأسواق وفي المعارك وحتّى في البيوت [3]"

---

[١] – لسان العرب – ابن منظور – ط : دار المعارف – مصر – مادة خ. ر.ق

[2] – في التعريف بالشاعرة راجع :

– أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام – عمر رضا كحالة – ط– مؤسسة الرسالة ج/٣٤٨

– الأعلام – خير الدين الزركلي – ط– دار العلم للملايين –بيروت – لبنان– ج٢

– ديوان الخرنق – ص ١٩

– رياض الأدب في مراثي شواعر العرب – جمعه وضبطه وعلّق على حواشيه : الأب لويس شيخو – ط– بيروت المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين – بيروت لبنان – ١٨٩٧– ١/ ٣٧:٢١

– شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام – بشير يموت –ط– المكتبة الأهلية – بيروت – لبنان – ط– ١– ١٩٣٤– ص٧٩

[3] – شاعرة اختلطت كلماتها برمل الصحراء ودماء زوجها – مقال بقلم : حسين الحطيب – هيرنيوز – موقع الشبكة العنكبوتية – عدد سبتمبر ٢٠٢٢م

سَكَنت الشَّاعرة وقومها أرض " كنعان " ونظمت الشِّعر في أغراضٍ شتى . ضاع أكثر شِعرها مثلما ضَاع نظيره من قصائد الشِّعر الجاهلي . كانت شاهدة على حياةٍ مملوءة بالمتناقضات التي حوتها البيئة الجاهلية ، وراصدة لكثير من مُجريات الأحداث في عصرها " ولكنَّ التَّحول الذي حدثَ في حياة الخِرْنق جعلها تعتزل الغزل والمديح ، وتتجه للرثاء وذلك عندما قُتل زوجها بشر بن عمرو وأخيها طَرفة بن العبد[1] "

وكانت أول نكباتها فقد الأخ والسَّند عندما وشي به " عبد عمرو بن بشر "[٢] عند عمرو بن هند ملك الحيرة فأرسل له في البحرين من يقتله عندما أخبره عبد عمرو بأنه قد هجاه كارهًا له ، فأضحت الخرنق ترثيه قائلة :

عددنا له خمسا وعشرين حِجةً ... فلما توفاها استوى سيدا ضخما

فجعنا به لما انتظرنا إيابه ....على خير حال لا وليدا ولا قحما[3]

وفي ديوان الخِرْنق هجاء لعبد عمرو بن بشر بسبب فعلته تلك ، حيث قالت :

ألا عبد عمرو قد أشاط ابن عمه ... وأنضجهُ في غَلْي قدرٍ وما يدري

---

[1] – المقال السابق

[٢] – عبد عمرو بن بشر ، أحد سادات بني بكر الذين شاركوا في موقعة ذي قار المشهورة بين الفرس والعرب وانتهت بانتصار العرب ، وكان نديما لعمرو بن هند ولطرفة بن العبد ، ووقعت بينهما خصومة فهجاه طرفة فوشى به عبد عمرو عند ابن هند مما أدى إلى قتله . – الديوان ص ٣٩

وقد أورد ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء " أن عبد عمرو بن بشر كان زوجا للخرنق بعد قتل أبيه عمرو بن بشر – راجع الشعر والشعراء – تحقيق مفيد قميحة –ط– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١ /١٠٣

[3] – الديوان ص ٢٠

فَهْلاً ابن حَسحاس قتلتَ ومعْبَدا..... هما تركاك لا تريشُ ولا تبري[١]

وفي الدِّيوان أيضا رثاء لعبد عمرو حيث قالت :

ألا هلكَ الملوكُ وعبدُ عمرو .... وخُليت العراق لمن بَغَاها

فكمْ من والدٍ لك يابن بشْرٍ ..... تأزّر بالمكارم وارْتَداها

بَنَى لكَ مرْثد وأبوك بشرٌ ... على الشّم البواذخ مِن ذُراها [2]

والأبيات السابقة تؤكد أن عبد عمرو كان ابن زوجها بشر بن عمرو فهي تخاطبه بذلك صراحة ، ثم تزوجت به إرثا من أبيه ويؤكد ذلك أيضا ما ورد عن المرزباني قوله : " كتب لي أحمد بن عبد العزيز ، أخبرنا عمر بن شبة، قال : كانت أخت طرفة بن العبد تحت عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد، ففركته (الفرك البُغض عامة) فقالت تهجوه وتعيّره بأنه لا يثأر لأبيه وتذكر سعايته بطرفة إلى عمرو بن هند حتى قتله " [٣] وهذا ما ذهب إليه أيضا ابن قتيبة[٤] ، وعللت د/ يمنى هذا الزواج " أنه ربما تزوجت الخرنق الأخير بعدما قُتل بشر يوم قُلاب ، وهذا ليس مستغربا ، لأن الجاهلية لم تكن تحكمها شريعة ، والدليل على أنه قُتل قبل ابنه تلك المقطوعة التي تهجو فيها عبد عمرو لأنه لم يأخذ بثأر أبيه[5]. "...

---

[١] – الديوان ص ٤٠ * تريش : أصاب خيرا وظهر عليه أثر النعمة .

[2] – الديوان ص ٣٩ البواذخ : الحَمَل وقيل أضعف ما يكون من الحُملان .

[٣] – أشعار النساء – حققه وقدم له د/ سامي مكي العاني – هلال ناجي –ط– عالم الكتب ص ١٠٩

[٤] – الشعر والشعراء – بتحقيق مفيد قميحة ١/ ١٠٣

[5]– شعر الرثاء بين الخرنق والخنساء – دراسة موضوعية وفنية – بحث منشور بمجلة اللغة العربية – جامعة الأزهر بالفاهرة العدد الثامن والثلاثين ، الجزء الأول سنة ٢٠٢٠ ص ٩

وأضيف على ما قالته د/ يمنى بأن زواجها من ابن زوجها لم يكن سببه أن الجاهلية لم تكن تحكمها شريعة ، بل هذا نفسه عين شريعة الجاهلية . فقد كانت المرأة تورّث بعد موت زوجها لورثته ، شأنها في ذلك شأن ما يمتلكه من متاع أو نحو ذلك[1] .

فانتقلت الخرنق إرثا رغما عنها لابن زوجها ، وهي كارهة له ؛ تهجوه لتنصله من مسؤولياته في ضرورة الأخذ بثأر أبيه ، ثم بعد ذلك ترثيه وهي في حقيقة الأمر ترثي زوجها الحبيب إلى نفسها بشر بن عمرو – كما سوف يتضح من دراسة النص في الفصل الثاني من البحث – ، ومن هذا المنطلق وجب أن أتناول الأبيات التي رثت فيها عبد عمرو بن بشر باعتبار أنه زوجها أيضا وبعد فقد الأخ – طرفة بن العبد – كانت النَّكبة الكبرى بفقدِ الزَّوج بشر بن عمرو

في يوم " قُلاب[2] "

وفي ذلك اليوم المشؤم فقدت الشَّاعرة الابن أيضا " عَلْقمة بن بشر " ، وقد عبّرت عن شعورها بالفقدِ في ديوانها حيث قالت :

---

[1] – ورد في تفسير قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن " ما قاله ابن عباس – رضي الله عنهما : " كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاؤوا زوجوها ، وإن شاؤوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية في ذلك – صحيح البخاري – حقق أصوله ، ووثق نصوصه : طه عبد الرؤف – ط– مكتبة الإيمان – المنصورة – المجلد الثالث ص ١٦٧

[2] – يوم قُلاب : قلاب : جبل دارت عنده معركة بني أسد وفيها أغار بشر بن عمرو سيد قبيلته وزوج الخرنق على بني أسد فقتلوه ، وقُتل معه أولاده الثلاثة : علقمة وهو ابن الخرنق من بشر ، وشرحبيل وحسان وهما ابنان لبشر من غيرها – الديوان ص ٢١وما بعدها

وبعد الخير علقمة بن بشرٍ .... إذا نَزَت النّفوس إلى الحُلُوقِ[1]

غريب أمر تلك المرأة يعلو صوتها بالبُكاء لفقدِ زوجها ، وتتحدث عنه وعن بطولاته ، وما لحق بالقبيلة من خزي وذل بعد موته ، وتملأ الدُّنيا عويلاً وبكاءً لفقده ، وتُدبِّج الأبيات حزنًا علي موته ، أمَّا رثاء الابن فلم يرد في الدِّيوان إلا في هذا البيت فقط !

ولا أجدُ لذلك تفسيرًا مقنعًا عندي سوى أنَّ أبياتها في رثاء ابنها ضاعت ضمن ما ضاع من الشّعر الجاهلي . فلا شك أنَّ الفطرة الإنسانية ، وعاطفة الأمومة تدفعها دفعًا أنْ يكون حزنها على فقد الابن أكثر من حزنها على فقد الزّوج . فالابن ثمرة الفؤاد ، وحبَّة القلب وفي الحديث القدسي وعد الله الأم الثَّكلى الصَّابرة المُحتسبة ، الرّاضية بقضاء الله وقدره ببيت في الجنَّة يُقال له بيت الحمد[2] .

وليس ذلك لمن فقدت زوجها ، وما كان هذا الوعد منه –سبحانه– إلا لعظم المُصيبة على قلب الأم .

ولم يتحدث أحد عن وفاة الخِرْنق إلا ما وجدته – وليس له سند يدعمه – من قول د. بشير يموت : إنّها ماتت سنة ٥٧٠م[٣] وما قاله أحد الباحثين

---

[1] – الديوان ص ٢٧

[2] – راجع الحديث الشريف في : سنن الترمذي – كتاب الجنائز – باب فضل المصيبة إذا احتسب – حديث رقم ١٠٢٣– وقال أبو عيسى حديث حسن غريب – ط– دار الفكر – بيروت – لبنان – ٢/ ٣١٣

[٣] – شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام – ص ٧٩

إنَّها تُوفيت قبل ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعام واحد بعد أن أُصيبت بالحُمَّى[1] .

ثانيًا : عصر الشَّاعرة:

عاشت الخِرْنِق بنت بدر بن هِفَان في البيئة الجاهلية وعبَّرت عنها أصدق تعبير فقبضت بيدها على كل مفرداتها بحُلوها ومُرّها ، في سِلمها وحَربها . عاشت سيدة كريمة في ظل سيادة أخيها وزوجها . رصدت غارات القبائل بعد أن طالها لهيبها . فمُنيت بفقد الزوج ، والابن في إحداها ، ورُزئت بفقد الأخ بسبب وشاية عند جبار متغطرس فهي بحق ابنة عصرها تعبر عن كل مفرداته بصدق ذلك العصر الذي يُعد

عصرًا فريدًا في خصائصه له من الخصائص المجتمعية ما جعله يُشكل عقل ووجدان الشَّاعرة فنطقت بلسان قومها ، وتمسَّكت بأصولهم وأعرافهم . تتلاشى مطالبها الذّاتية أمام احتياجات القبيلة . مما دفع أحد الباحثين أنْ يقول : " غير أننا نُطالع شعر الخِرْنق لا نجدها ذاتية محضة ، فالقبيلة كان لها حضور واسع في شعرها ، فشعرها الذي وصل إلينا – على قلته – في كلّ أبعاده يتجه صوْب القبيلة ، فالموضوع الأساسي في شعرها هو رثاؤها لزوجها بشر ، لكنها تنطلق من خلال بشر إلى القبيلة أو تنطلق من خلال حزنها على بشر لتصل إلى القبيلة[2] "

---

[1] – شاعرة اختلطت كلماتها برمل الصحراء ودماء زوجها – مقال بقلم / حسين الحطيب – هيرنيوز – موقع الشبكة العنكبوتية .

[2] – البعد القبلي في رثاء الخرنق – بحث من إعداد : د/ إبراهيم صالح حسين – جامعة تكريت – كلية الآداب – قسم اللغة العربية – مجلة الجامعة العراقية العدد ٤٣ لسنة ٢٠١٩ ص ٣٢٧.

وهي بذلك إنّما تُمثّل أبرز الصِّفات العربية التي تَغنى بها العربي القديم حيث الوفاء ، والشَّجاعة ، والكرم ؛ فهي تجسيد حيٌّ للوفاء . تفي لزوجها ولقومها ، وتتغنى بشجاعته وبطولاته ، وتشدو بانتصاراته على أعدائه ، وتصدح بكرمه وجوده تلك الصِّفات العربية الأصيلة التي فُقدت بفقده وضاعت بقتله ، فإذا بها تتساءل في حيرة ودهشة : من يُطعمُ الجائع ؟ ومن يُؤمّن الخائف ؟ قائلة :

ألا ذهبَ الحلالُ في القفراتِ ...ومَنْ يَملأ الجِفان في الحجرات ؟

ومن يُرجع الرّمحَ الأصمّ كعُوبُه ...عليه دماءُ القومِ كالشّقراتِ؟ [1]

وللطبيعة الجاهلية بكل مفرداتها أثر في نفس الشَّاعرة ، وفي شعرها فتراها تناجيها ، وتتحدث إليها ، وترقُب السُحب لعلها تجود بالمطر الذي يبعث الحياة . مثلها في ذلك مثل كلّ الجاهليين يتعلقون بأهدابِ الطَّبيعة التي تُشاركهم أفراحهم ، وأتراحهم فتقول :

يا رُبَّ غيث قد قَرَى عازبٍ ....أجشَّ أحْوى في جُمادي مطيرِ [2]

وبالرّغم من اجتماع النكبات على الشَّاعرة بفقد الأخ والزَّوج والابن ، تراها قوية شامخة لا تلين ولا تنكسر ، صوتها كالرّعد المُدوي ، تستنهض قومها استكمالاً للمسيرة ، ودفعًا للثباتِ ، تُذكرهم بأيّام انتصارهم على أعدائهم حتّى يثبتوا على ما كانوا عليه ، وفي الوقت ذاته تُخفي في نفسها جبالًا من الحزن هائلة ، وهمومًا في قلبها زاخرة.

---

[1] – الديوان ص ٣٤– الحجرات : السنوات المجدبة أو سنوات القحط والجدب – الشقرات: شقائق النعمان والمفرد : الشقرة والمقصود ملونة بدماء أعدائهم .

[2] – الديوان ص ٣٤– عازب : يغطي مساحة كبيرة من الأرض – أجش : صوت الرعد– أحوى : سحاب يضرب إلى السواد وهو أغزر لمائه .

ثالثا : نظرة عامة في رثاء الزّوج في الشِّعر العربي:

الشِّعر تعبير عمّا يختلج في النّفس ، ومرآة عاكسة لمكنوناتها ، حزنًا، وفرحًا ، دهشةً وعجبًا ، تأملاً وفكرًا ذلك أنَّ ؛ " العلاقة بين الأدب والنَّفس لا تحتاج إلى إثبات ؛ لأنَّه ليس هناك من يُنكرها[1] "

علاقة قديمة مُذ أنْ استخدم الإنسان الأدب وسيلة للتعبير عن مكنونات نفسه " والمؤكد أنَّ كثيرين من النُّقاد والبلاغيين العرب قد لمسوا مظاهر هذه العلاقة على نحو أو آخر . فانتبهوا إلى الظروف التي تواني النفس فتنشئ الأدب ، كما أحسّوا بتأثير الأدب في النَّفس وإثارة ألوان عدة من المشاعر[2]"

ويعدُّ غرض الرِّثاء الشِّعري خاصة – دون غيره من الأغراض الشِّعرية الأخرى– وثيق الصِّلة بالنَّفس البشرية ، فالشَّاعر –غالبا – لا يرثي إلا صادقًا ، وخاصة عند الشواعر اللاتي وجدن في هذا الباب مجالا متسعا للتعبير عن شكوى النفس ، وحجم الحزن الذي يعتصرهن إزاء فقد عزيز عليهن[٣] . ذلك أنَّ الرِّثاء ؛ " نموذج أكثر قابلية لمقاييس الالتزام الأخلاقي ،

---

[1] – التفسير النفسي للأدب – د/ عز الدين إسماعيل – ص ٥

[2] – المرجع السابق ص ٦،٥ – لمزيد من التفصيل انظر : بحث بعنوان " البلاغة وعلم النفس أ / أمين الخولي نشر مجلة كلية الآداب ١٩٣٩

– وأيضا كتاب : من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – د / محمد خلف الله أحمد –ط– لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧

[٣] – الشعر النسائي في أدبنا القديم – د/ مي يوسف خليف – ط– مكتبة غريب – القاهرة – ص ٩٤ بتصرف

ففي اطاره اختفت كلّ صور الزيف ، أو كادت ، وعنده يُصبح من المتوقع أن يصدق الشَّاعر في التعبير عن انفعاله [1] "

ويرى بعض النُّقاد أنه لا فارق بين المرثية والمدحة إلا من حيث استخدام بعض الألفاظ في الرِّثاء مثل : كان ، وتولى وقضى ، [٢]والأمر ليس كذلك بطبيعة الحال في المديح . والحق أنَّ الفارق بينهما كبير " في الجو النفسي، فالمدح نرى فيه سرورًا وفرحًا بالممدوح ، أمَّا الرِّثاء فترى فيه الحزن والبكاء والأنين والتفجع[3] " .

ولابد من الأخذ في الاعتبار أنَّ صوت النساء في الرثّاء مختلف ، لما تختص به الأنثى من رقة المشاعر ، وسرعة التَّأثر ، وسرعة الاستجابة العظمى انفعالا بالحدث لأنَّهن ؛ خُلقن ضعيفات الإحساس والعواطف فازعات القلوب ، وقد أفرد البحتري في حماسته بابًا بعنوان " مختار أشعار جماعة من النساء في المراثي[4] "

---

[1]– رثاء الزوجين في الشعر العربي المعاصر – دراسة وموازنة – ديوانا " حصاد الدمع للدكتور محمد رجب البيومي ، و"بكائيات الوداع الأخير " لإيمان مصاروة أنموذجا – بحث من إعداد د/ أماني حافظ الحفناوي – مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد – العدد السابع عشر

[٢] – انظر : نقد الشعر – قدامة بن جعفر – ط – مطبعة الجوائب – قسطنطينية – ط– الأولى – ص٣٣

وأيضا : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – ط– مطبعة السعادة – مصر ص ٦٩

[3] – رثاء الزوجين في الشعر العربي المعاصر – ص ٦٧٩

[4] – الحماسة – تحقيق – د/ محمد إبراهيم حوّر – د/ أحمد محمد عبيد –ط– هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث –ط– ٢٠٠٧

فالشِّعر النسوي "حوى طابعًا أنثويًا متميزًا على مر العصور ، بما شحنته المرأة من عواطفها المتدفقة ، وما أودعته من أحاسيس مرهفة وشفافية رقيقة، وخاصة إذا أصيبت بفواجع عظيمة كالتي أصيبت بها الخِرْنق[1] "

فإذا اجتمع مع هذا الإحساس موهبة نظم الشِّعر تأكَّد أنَّك سوف تقرأ من الشِّعر أعجبه ، ومن النَّظم أحسنه وأروعه .

شكَّل شعر رثاء النِّساء العربيات في الجاهلية – على اختلاف شخصية المرثي وصلة القرابة بينه وبين الشَّاعرة – ظاهرة تستحق الدِّراسة ، والوقوف عندها وتفسيرها ، وتشريح تلك النَّفس التي صدر عنها هذا الشِّعر ، أو إنْ شئتَ قلتَ هذا الإحساس ، وتلك العاطفة . ويُعدُّ تفسير كارل بروكلمان لذلك مقبولا حيث قال : " على أن إظهار الحزن لم يكن يُناسب رجال القبيلة كما كان لائقًا بنسائها – وخاصة الأخوات – ومن ثمَّ بقى تعهّد الرَّثاء الفني من مقاصدهن حتّى عصر التَّسجيل التَّاريخي[2] "

وإذا كان المرثي زوجًا فالحدثُ جللٌ والخَطْبُ عظيمٌ...

فقد الزوج يُعدُّ صدمة نفسية [3]عنيفة تزلزل حياة المرأة . خاصة إذا كان الزوج يشغل حيزا كبيرًا ومتجذرًا في حياتها ، وقد أثبتت الدِّراسات النَّفسية ذلك حيث

---

[1] – ديوان الخرنق – دراسة فنية – زكريا صيام – مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب – المجلد الثمن – العدد الثاني ٢٠١١ص ٧٥٥

[2] – تاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان – نقله إلى العربية : د/ عبد الحليم النّجار – ط– دار المعارف – مصر – ط– الخامسة ١/ ٤٨

[3] – الصدمة النفسية أو " الرضخ " مأخوذ من اللغة اليونانية القديمة ويعني " الجُرح " أو الإصابة ، وذلك نتيجة التعرض لحادث مأسوي يؤدي إلى جُرح عميق في النفس بشكل مفاجئ ولمرة واحدة ويظهر بشكل مؤثر لفترة طويلة – راجع :

Lei tfaden- trauma- arabisch- web-207-06

=

إنَّ " تعرض المرأة للترمل يُعدُّ من أخطر وأهم الضغوط التي تطرأ على الحياة الزوجية بشكل عام وعلى الزوجة بشكل خاص ، ولا شك أنَّ خُطورة هذا التغيير وصعوبته ترتبط بالضَّرورة بدرجة اعتماد المرأة على الرَّجل ومدى هذا الاعتماد[1] "

وتحاول المرأة عندها التَّحلي بالصمود النَّفسي[2]

والتَّوازن السلوكي مع صعوبة تحقيق ذلك بصورته الكاملة .

ومنذ أنْ كانت الكلمة الأولى في الشِّعر الجاهلي وجدنا النِّساء العربيات يُسطّرن روائع الأبيات في الرِّثاء " تجدهنَّ يستنبطن في هذا الباب أساليب بديعة لم ينتبه لها الفحول ؛ لما طُبعن عليه من رقة الطِّباع وشدة الجزع في المصائب وصدق الحس فيبرزن عواطفهنَّ بشعر سلس ، وكلام ليّن قريب المأخذ يكاد يسيل رقة وانسجامًا[3] "

ورثاء شواعر العرب في أزواجهنَّ له طابعه الخاص . يتحدثن من خلاله عن شدة الإحساس بالفقد ، وفَرط الشّعور بالذّل بعد ضياع الأمن والأمان بفقد المُدافع ، والحِصن الحَصين خاصة في مجتمعٍ لا يعترف إلا بالقوة والبطش ، والبقاء والسِّيادة فيه للأقوى فحياتهم بين غزو وإغارة وكرٍّ وفرٍّ ، وهذا يستلزم وجود من يحمى الحِمَى ، ويُدافع عن الأرضِ والعرضِ .

وأيضا : tramapsycholagy– – محاضرات في علم نفس الصدمة

[1] – الصمود النفسي وعلاقته باستراتيجيات مواجهة تحديات الحياة المعاصرة لدى النساء الأرامل بقطاع غزة – إعداد د / عايدة شعبان – د/ ياسرة محمد أيوب – بحث منشور بموقع أكاديميا العربية – موقع الشبكة العنكبوتية .

[2] – الصمود النفسي : عملية ديناميكية يعرض من خلالها الأفراد تكيفا إيجابيا برغم ما يواجهون من خبرات هامة وخطيرة كالصدمات أو الشدائد والمحن . – المرجع السابق

[3] – رياض الأدب في مراثي شواعر العرب – لويس شيخو – ص١

صفحة التَّاريخ الأدبي مضيئة بالشَّاعرات اللاتي رثين أزواجهنَّ وأظهرن من خلال هذا الرِّثاء لوعة وحرقة على الفراق والبُعد ، وفي مقدمتهنَّ جليلة بنت مُرة التي عاشت تجربة فريدة من نوعها يتنازعها إحساس الولاء للأخ وشعور العشق للزَّوج فأحست جليلة عذابات التَّمزق بين وفائها لزوجها القتيل ، وبين ولائها لأخيها القاتل اشفاقًا عليه من القتل لأخذ الثأر ، فأضحت لا تفتأ تذكر زوجها القتيل ، وأخاها المهدد بالقتل ثأرًا ، محاولة من خلال رثائها لزوجها أن تستعطف قلوب سادات قبيلتها لعلهم يَرقّون لها ويصفحون عنه فهي القائلة :

يا قتيلا قوّض الدّهر بهِ ..... سقف بيتي جميعًا من علِ

هُدم البيتُ الذي استحدثتهُ .... وانثنى في هدم بيتي الأوّلِ

ورماني قتلهُ من كثبٍ ..... رمية المُضني به المُسْتأصلِ[1]

ومن جميل شعرها في رثاء زوجها قولها ، وهو مما اشتهر لها من أبيات :

يا ابنة الأقوام إنْ لُمتِ فلا ..... تعجلي حتَّى تسألي

فإذا أنتِ تبيّنتِ الذي ..... يُوجبُ اللّوم فلومي واعذلي[٢]

وممن أخلصت في رثاء زوجها أيضا : الخِرْنق بنت بدر . لها في رثائه أبعاد نفسية تكشف من خلالها عن شخصية حقيقية للمرأة العربية الجاهلية ، تلك التي ترتبط وقومها برباط وثيق ، وتتغنى ببطولاتهم ، وتَذكر أيّامهم في سِلمهم وحربهم ، كما جَسّدت بصراحة واضحة الصِّفات العربية الأصيلة التي من أهمها : صفة الوفاء ، والكرم ، والشَّجاعة . ، كما يفوح من رثائها صدق

---

[1] – شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام – بشير يموت ص ٣٧، ٣٨

[٢] – المصدر السابق ص ٣٧ – وفي بعض الروايات ورد : يا ابنة الأعمام بدلا عن يا ابنة الأقوام .

العاطفة ، وألم التَّجربة التي تجاوزت حدود الحزن على الابن وفلذة الكبد ، وأفصحت من خلال رثائها عن شخصية المرأة العربية القوية المتماسكة عند حدوث النوازل . تستصرخ قومها لينهضوا ويقتفوا أثر زوجها في الدِّفاع عن الأرض والعرض ، وسَطّرت في شعر يظلُ أبدَ الدَّهر يُذكر بذكرهم ، ويتحدث عنهم.

والخنساء عندما ترثي زوجها لا شك أنها مُبدعة إلا أنَّ رثاءها له لم يشتهر اشتهار رثائها لأخويها صخر ومعاوية ففي رثاء زوجها تقول :

ألا اختار مرداسا على الناسِ قاتلهْ ..... ولو عَادهُ كنّاتهُ وحلائلُهْ

وقُلن ألا هَل من شِفاءٍ ينالهُ ..... وقد مَنَع الشِّفاءَ من هو قاتلهْ[1]

وتُصوّر فاطمة الخزاعية[2] الذّل الذي لحق بها بموت زوجها بعد أن كانت عزيزة في حماه :

يا عَينُ بَكّي عند كلِّ صباح .....جودي بأربعة على الجرّاحِ

قد كنتَ لي جبلا ألوذ بظلهِ .....فتركتني أمشي بأجردَ ضاحِ

قد كنتُ ذات حميةٍ ما عشتَ لي .أمشى البرازَ وكنتَ أنت جناحي

فاليوم أخضع للذليل وأتقي .....منه وأدفع ظالمي بالرّاح

وأغضّ من بصري وأعلم أنّه ..... قد بان حد فوارسي ورماحي

وإذا دعت قُمرية شجنًا لها ..... يومًا على فننٍ دعوتُ صباحي[3]

---

[1] – ديوان الخنساء – شرح : أبو العباس ثعلب – تحقيق : د/ أنور أبو سويلم – ط – دار عمّار – عمّان الأردن – ط الأولى – ١٩٨٨– ص ٢٤٧– الكنّة : امرأة الأخ .

[2] – فاطمة بنت أحجم الخزاعية : من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لها شعر في رثاء إخوة لها ، كانت تتمتع بالصدق والجرأة . – شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام – بشير يموت ص ١٦٤

[3] – المرجع السابق ص ١٦٤

ومن أجمل ما قرأتُ في رثاء الزّوج قول لطيفة الحدانية [1]

يا صاحب القبر يا من كان ينعمُ بي...عيشًا ويُكثر في الدّنيا مواساتي

قد زرتُ قبركَ في حَلْيٍ وفي حُللٍ ...كأنّني لستُ من أهلِ المصيباتِ

لمّا علمتُك تهوى أن تراني في .....حَلْيٍ وتهواهُ من ترجيع أصواتي

أردتُ آتيكَ فيما كنتُ أعرفهُ ..... أنْ قدْ تُسرُّ بهِ من بعض هيئاتي

فمن رآني رأى عَبْرَي مُوَلّهةً..... عجيبةَ الزّيّ تبكي بين أمواتِ [2]

ومن عجيب رثاء الزّوج ما رواه الأصمعي فيما ذكره من أنَّه رأى وصاحبه امرأة تبكي بحرقة على قبر فلما سألها عن سبب بكائها قالت :

فإن تسألاني فيمَ حُزني فإنَّني ....رهينة هذا القبر يا فتيانِ

وإنّي لأستحييه والتُّربُ بيننا ... كما كنتُ أستحييه حين يراني

أهابُكَ إجلالاً وإن كنتَ في الثَّرى .وأكرهُ حقًا أنْ يسُؤكَ مكاني[3]

---

[1] – لطيفة الحدانية : شاعرة من شاعرات العصر العباسي تزوجها ابن عم لها وولعت به ولعا شديدا ، ولكنه ما لبث أن مرض مرضا عضالا أودى بحياته فغمرها حزن شديد ورثته بهذه الأبيات – شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام – بشير يموت ص ١٦١

[2] – المرجع السابق الصفحة ذاتها

[3] – تروى هذه الأبيات أيضا للشاعرة لطيفة الحدانية ، والبعض يجمع بين الروايتين في قصة واحدة ويكملون القصة بأن الأصمعي عندما دخل على الخليفة هارون الرشيد سأله : ما أعجب ما رأيت في البصرة ؟ فحكى له ما كان من أمر هذه المرأة فبعث الخليفة يطلبها للزواج وعندما كانت في طريقها إليه وافتها المنية . – راجع كتاب : شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام – بشير يموت ص ١٦١

ولم يقف شعر رثاء الزوج عند الشَّاعرات العربيات الجاهليات، والإسلاميات، والعباسيات ، بل تتابع على مرّ العصور حتى عصرنا هذا ، فتقرأ أبيات لإيمان مصاروة [١]في رثاء زوجها ، وتسمعُ صدى أحلام شاعرة المنصورة جميلة العلايلي [٢] في رثاء زوجها ، وتسطع أنوار الشَّاعرة الحزينة منيرة توفيق[٣]، وقصائد جليلة رضا [٤]، وغيرهنَّ ممن بكين أزواجهنَّ في شعرهن بكاءً حارًا ، وأفصحن عن شعور عميق بالحزن والأسى .

---

[١] – إيمان مصاروة : شاعرة فلسطينية من الناصرة ، الجليل عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب الفلسطينيين العرب ، لها العديد من المؤلفات الأدبية والنقدية منها " أدب السجون " و" أدب الأسر " رثت زوجها بقصائد ضمها ديوانها " بكائيات الوداع الأخير " ولها من الدواوين " حجر سلاحي " و" في انتظار الضوء – مجلة آفاق حُرّة – عدد إبريل ٢٠١٦

[٢] – جميلة العلايلي : شاعرة مصرية ، وكاتبة ، وقاصة عملت في بداية حياتها مُدرّسة ثم مديرة لمكتب المساعدات الاجتماعية ، كانت غزيرة الإنتاج فياضة الشاعرية أسست في منزلها صالونا أدبيا ، وأصدرت مجلة " أهداف " بالاشتراك مع زوجها الصحفي سيد ندا ، لها دواوين عدة منها : نبضات شاعرة " و" همسات عابدة " و "صدى إيماني " و" صدى أحلامي " و" الطائر الحزين " – معجم أعلام النساء – محمد التونجي – ط– دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ص ٦٦

[٣] – منيرة توفيق : ١٨٩٣–١٩٦٥ شاعرة مصرية إسلامية الاتجاه ولدت في بورسعيد ثم سكنت الإسكندرية ، دعيت شاعرة الاتحاد النسوي المصري نشرت كثير من شعرها في الصحف المصرية ومن أعمالها ديوان " أنوار منيرة " – المصدر السابق ص١٦٨

[٤] – جليلة رضا : شاعرة مصرية ولدت بالإسكندرية سنة ١٩٢٠ وتوفيت عام ٢٠٠١ تزوجت ثم انفصلت عن زوجها ثم تزوجت بآخر وعاجلته المنية وكتبت فيه رثاء حارا ، توثقت الصلة بينها وبين الشاعر إبراهيم ناجي وأسماها " ناجي الصغير " عضو لجنة الشعر بالمجلس القومي ، واتحاد الكُتّاب ، لها من الدواوين : ديوان " –اللحن الباكي " و" اللحن الثائر " و" الأجنحة البيضاء " – المصدر السابق ص ٦٥

وستظل النِّساء تبكين أزواجهنَّ حزنًا وكمدًا ، ومن أنصفها زمنها منهنَّ تجد في الشِّعر مراغمًا كثيرًا وسعة تضع فيه زفرات أنفاسها المكلومة على فقد عزيز رحل ، ورحلت معه كلّ الذِّكريات العذبة ، والأيَّام المُشمسة ، والليالي المُقمرة ، ولم يبقَ لديها إلا استرجاعها والعيش في أكنافها ، وتحت ظل ظلالها الوارفة.

(الفصل الثاني)

(الدِّراسة الفنية النَّفسية في رثاء الخِرْنق لزوجها)

أظهرت الشاعرة مزيدا من عاطفة الحزن والأسى على فقد زوجها ، ونطق لسانها بما يحتويه قلبها ، فما تفتأ تذكره حتى تذرف دموعها مدرارا ، وتجود مشاعرها بالحزن أنهارا ، فأخذت ترثيه بكل معاني الرثاء ، نادبة [١]، ومُؤبنة[٢]، ومُعزية[٣] ، وقد تجمع بين المعاني الثلاثة في قصيدة واحدة ، فتراها معبرة من خلال ذلك عن حزن دفين ، وحِملٍ على نفسها ثقيل .

شعر الخرنق قصائد[٤] قصيرة ، أو مقطوعات[٥] ، وربما نُتَف [٦] معدودة مثلها في ذلك مثل كثير من شواعر العرب . وقد اختلفت تعليلات النقاد في تفسير

---

[١] – الندب : ندب الميت وعدد محاسنه وبكى عليه ، واندب أن تدعو النادبة الميت بحسن الثناء في قولها : وافلاناه ! واهناه!– لسان العرب مادة ن. د. ب .

[٢] –التأبين : مدح الميت ببيان مناقبه وجميل صفاته – المرجع السابق مادة : أ .ب. ن .

[٣] – العزاء : السلو ، وحسن الصبر على المصائب – التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا – المبرد – تقديم وتحقيق : إبراهيم الجمل – مرجعة : محمود سالم – ط– نهضة مصر ص ٤٥.

[٤] – القصيدة : الأبيات من البيت الأول وحتى البيت السابع ، والبعض يذهب إلى القول بأنها ما بلغت أبياتها العشرة وتجاوزتها ولو ببيت واحد – العمدة – ابن رشيق القيرواني – ١/ ١٨٨، ١٨٩

[٥] المقطوعة : ما دون القصيدة من حيث عدد الأبيات – أو الأبيات من الثلاثة إلى الستة – قطوف من أوزان الشعر العربي وموسيقاه – أ. د/ صابر عبد الدايم – ط– مطبعة الإسراء –مصر ص ٣٤

[٦] – النتفة : تطلق على البيتين من الشعر – المرجع السابق ص ٣٤

تلك الظاهرة من القول بأن ذلك راجع إلى طبيعة المرأة الملولة التي لا تصبر على قرض الشعر مدة طويلة ،[١]

هذا الملل وجدته د/ مي خليف في الأغراض كلها باستثناء الرثاء فقالت : إن الغالب في قصائد الرثاء عند النساء أن تكون طويلة عكس الأغراض الأخرى ذلك لأن ؛ المرأة في الرثاء تترك نفسها على طبيعتها ، وتبكي ، وتشتكي من الفقد ، وتعدد مناقب المفقود ... والأمر ليس كذلك في الغزل ، والهجاء مثلا[2] .

بينما ذهبت د/ يمنى الغندور إلى القول بأن كثرة المقطوعات في شعر الرثاء راجع إلى طبيعة المرأة الانفعالية ، وسرعة استجابتها لعواطفها ، وتعبيرها عنها ، وهذا بالطبع مختلف عن طبيعة التكوين النفسي للرجل .[٣] لأنهن ؛ يعتمدن في رثائهن على العويل ، والبكاء ، وإظهار الجزع ، فالمعاني فيه محدودة فلا تجد فرصة للإطالة ، والإسهاب .

وهذا ما وجدته في رثاء الخرنق تحديدا ، فشعرها في رثاء زوجها مقطوعات أو قصائد قصيرة ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صدق التجربة ، والتكثيف الشعوري[٤] عند الشاعرة ، وهذا واضح تمام الوضوح في قولها :

---

[١] – انظر : المرأة في الشعر الجاهلي – د/ أحمد الحوفي –ط– دار نهضة مصر – الطبعة الثالثة ١٩٨٠ ص ٦٦٨

[2] – الشعر النسائي في أدبنا القديم ص ١٥٤

[٣] – شعر الرثاء بين الخرنق والخنساء – د/ يمنى أحمد الغندور – بحث بمجلة اللغة العربية بالقاهرة ص ٧٦

[٤] – التكثيف الشعوري : مصطلح منقول من ميدان علم النفس إلى ميدان الأدب ، وظيفته إذابة العناصر والمكونات المتناقضة والمتباينة والمتشابهة ، وجعلها في كل واحد أو بؤرة واحدة تلمع كالبرق الخاطف ، لا نعني بذلك الاقتصاد اللغوي فحسب ، وإنما في فاعليته =

ألا ذهب الحلال في القفرات ... ومن يملأ الجفان في الحجرات؟
ومن يُرجع الرّمح الأصمّ كعُوبُه .... عليه دماء القوم كالشّقرات ؟

وغيرها من النُتَف الرثائية في ديوانها في رثاء زوجها ، فتراها تستخدم ألفاظ معبرة عن مشهد الحزن ، وتتناول الأساليب بصورة مركزة جدا ، وهذا واضح تمام الوضوح في النص السابق الذي جمعت فيه الشاعرة العديد من المعاني بالرغم من الايجاز الشديد في التعبير ، وهذا ما سوف يتضح عند تناول النص في موضعه من البحث في هذا الفصل .

القصيدة الأولى : (صور وشخصيات) قالت الشَّاعرة ترثي زوجها:

أعاذلتي على رُزْءٍ أفيقي ..... فقد أشْرَقْتِني بالعَذْل ريقي
ألا أقسمتُ آسى بعد بشرٍ .....على حيّ يموتُ ولا صَديقِ
وبعد الخير علقمة بن بشرٍ ..... إذا نَزَت النفوسُ إلى حُلُوقِ
وبعد بني ضُبيعة حوْل بشرٍ .....كما مالَ الجذوعُ من الحَريقِ
مَنَتْ لهمُ بوالبة المنايا ..... بجنبِ قُلابِ للحَين المسُوقِ
فكم بقُلاب منْ أوصالِ خرقٍ ..... أخي ثقةٍ وجُمجُمةٍ فَليقِ
نَدامى للمُلُوكِ ، إذا لقُوُهمْ..... حُبُوا وسُقوا بكأسِهمُ الرّحيقِ
هم جَدَعوا الأنوفَ وأوعَبُوها .....فما يَنْساغُ لي من بعدُ ريقي
وبيضٍ قد قعدْنَ ، وكلّ كُحلٍ ..... بأعينهنّ أصبح لا يليقُ
أضاع بضوعهنّ مُصابُ بشرٍ .....وطعنة فاتكٍ ، فمتى تفيقِ ؟[1]

المؤثرة في اختزال الموضوع وطريقة تناوله ، – التكثيف وعناصر بناء الفن الدرامي – بحث من إعداد : د / سامية شاكر سلامة – كلية الآداب جامعة حلوان – عدد يونيو ٢٠٢٠ ص ٧

[1] الديوان ص ٢٦– يشير أو عمرو بن العلاء إلى أن هذه القصيدة ينسبها البعض إلى شاعرة أخرى تتشابه مع الخرنق في الاسم – الرزء : المصيبة –* أشرقتني : أصبت بالغصة وعدم القدرة على البلع * آسى : المعنى : لا آسى أي لا أحزن * نزت : =

في هذه المقطوعة استدعاء لشخصيات عدة هي :

الشخصية الأولى : (العاذلة) تلك التي ما تنفك عن توجيه اللوم والعتاب للشَّاعرة على شدة حزنها ويأسها من هول المصيبة ، وعندما أرادت الشَّاعرة أن تتوجه إليها بالنداء استخدمت حرف الهمزة خاصة وذلك لما في الهمزة من صفات لا تتوفر في غيرها من حيث الشِّدة ، والجهر ، وما تميّز به مخرجها من أنَّه مُحكم الإغلاق فبمجرد التَّصادم بين طرفيه ؛ يَنْغلق المخرج تمامًا ، وينغلق معه الحبلان الصَّوتيان ويحتبس خلفهما الهواء والصَّوت نتيجة لإعاقتهما إعاقة تامة . [1]وكأنّي بالشَّاعرة تجهر بالنِّداء في وجه تلك المرأة لعلها تكف عما تفعله ، أضف إلى ذلك أنَّ استخدام الهمزة في النداء يدلُ على القرب المكاني والمعنوي فلاشك أنَّ العاذلة تشاركها مجلسها وهي أيضا لها صلة قرابة معها .

ولو كان لوم العاذلة يُريح الشَّاعرة ما طلبت منها أن تكفّ عنه ، ولكن الحقيقة أن لومها على شدة الحزن لا يزيد الشَّاعرة إلا ألمًا وحزنًا .

وتُتْبعُ الشاعرة النداء بالأمر بقولها " أفيقي " وللأمر دلالته وايحاءاته النَّفسية التي تتفق و إحساس الشَّاعرة بالحزن وألم الفقد وذلك لأنَّه ؛ دون غيره

صعدت وعلت إلى الحلقوم – * منت : قُدّرت – * والبة : تقصد عُميلة بن المقبس الوالبي قاتل بشر * الحين : بالفتح : الهلاك وقد حان الرجل أي : هلك * أوصال : أعضاء الجسم متفرقة ومقطعة – الخرق : الجواد الكريم – * حبوا : لهم حظوة عند الملوك * جدعوا الأنوف : قطعوها كناية عن الذل والهوان * أوعبوها : استأصلوها –* بيض : ورب نساء بيض كناية عن الطهر والعفاف .

[1] – انظر كتاب : مخارج الحروف وصفاتها – جمع وترتيب : أحمد الشرقاوي – شبكة الألوكة – قسم الكتب ص ١٢، ١٥ ، ٢٤ وما بعدها

من الأفعال يحمل في طياته شُحنة انفعالية تُعبر عن رفض الشَّاعرة لهذا اللوم بكل صوره وأشكاله .

وفي توجيه اللوم للشاعرة ، ثم رفضها هذا اللوم ، ثم المخاطبة بصيغة الأمر ، كل ذلك يضيف للأسلوب صبغة الحوار الذي يعكس بدوره أثرا إيجابيا على القصيدة بوجه عام ، وعلى رسم الصورة بشكل خاص .

وقد تعاون الأمر مع النِّداء في إخراج قدرٍ كبيرٍ من إحساس الغضب الذي يُسيطر على نفس الشَّاعرة ويعصف بمشاعرها ، وإذا ما أضفت إلى ذلك حرف التَّحقيق " قد " مؤكدًا الفعل الماضي " أشْرَقْتِني " فإن هذا كله يتعاون في جعل اللوم مرفوضًا تمامًا .

ولِمَ اللوم على شدة الحزن وهو مستقر في النَّفس منذ زمن مضى ؟ وما زالت آثاره باقية : غُصة بالحلق يتبعها عدم القُدرة على بَلع الرِّيق ! " إنَّ المسألة في الشِّعر ليست مجرد عملية تشكيل لمجموعة من الألفاظ كما هو الشأن في أيّ عبارة لغوية ، وإنّما هناك طابع خاص لهذا التّشكيل يجعل من الكلام شعرًا دون غيره من ضروب الكلام "[1]

فالكلمات في الاستعمال الشِّعري ليست مجرد أدوات تمثل الأشياء كما أنَّ الصّورة التي تتكون منها هذه الكلمات صورة تعبيرية وليست صورة مشابهة . ثمَّ انظر _ أكرمكَ اللهُ – إلى هذا التَّعبير الفريد الذي دلّ على الفعل مصاحبًا بما يترتب عليه من أثر ، فقد ترتب على غُصة الحَلْق عدم قدرة على بلع الرِّيق . إنّها بذلك تُعبّر عن " حالة نفسية كئيبة حيث إنَّ المرء يُغصّ بطعامه أو شرابه أحيانا ، أمَّا أن يُغصّ بريقه فذلك يعود إلى اضطراب فسيولوجي أو نفسي على نحو ما اتضح في

---

[1] – التفسير النفسي للأدب ص ٥٠

العلم الحديث ، وربما أُصيبت الخرنق بالاثنين معًا "[1]

الشّخصية الثانية : شخصية بطل الحدث **(الزَّوج)** بشر بن عمرو ، الأمل المنشود والحُلم الضَّائع ، تتلذذ الشَّاعرة بذكره والحديث عنه ، وتستعيد ذكرياتها الحُلوة معه ، حيث يَعْظُم في نفسها –عند ذكره واستحضاره – الإحساس بالأمن والأمان ، اللذين فقدا بفقده ، وضاعا بقتله .

وفي تكرار اسم (بشر) أربع مرات في قطعة لا تتجاوز العشرة أبيات فلذلك دلالته فهذا يؤكد على " شدة حزنها عليه ، وعدم غيابه عن مخيلتها ، يليه في المكانة الأثيرة عندها ابنها علقمة ، [2] "

الشَّخصية الثالثة : كلّ (إنسان) على وجه البسيطة تجري عليه سنة الحياة والموت فتعلن الشَّاعرة صراحة أنَّها غير مكترثة بموت أحدهم ، وغير مُتألمة لفراقه ؛ لأن فقده لا يُمثّل شيئا بجانب فقد الزَّوج ، وهي بذلك تندب زوجها في حسرة تكشف عن حجم المصيبة عندها ، من خلال إظهار الأسى على قتل زوجها ، وكأن لسان حالها يقول : لقد حرمتُ الحزن على نفسي بعد حزني على فقد بشر ، وصورت هذا في قولها

ألا أقسمتُ آسى بعد بشرٍ .... على حيٍّ يموتُ ولا صديقِ

والمعنى : أقسمتُ ألاّ آسى على أحدٍ يموتُ بعد موت بشر حتَّى لو كان صديقًا مقربًا إلى النَّفس ، فقد عمّ الحزن بفقده ، وصغرت من بعد قتله المصائب والأهوال .

---

[1] – ديوان الخرنق – دراسة فنية – د/ زكريا صيام ص ٧٥٨

[2] المرجع السابق ص ٧٥٩

الشَّخصية الرَّابعة : (الابن) الذي فُقد مع الزَّوج فزاد من حجم المصيبة وعظّم الإحساس بالألم في نفس الشَّاعرة فحرصت على أن تقرن الحديث عنه " بالخير " فمن أين يأتي الخير بعد أن فُقد صاحبه وملازمه ؟

كما عبّرت عن فقده بصورة مؤلمة أشد الألم وهي صورة بلوغ الروح الحلقوم ، فالزَّوج تأسى على فراقه ، وتتألم لفقده . أما الابن ففقده هو الموتُ الحقيقي بالنسبة لها ، صورة على ايجازها تحمل كثيرًا من دلالات الألم ، وأقسى ما يمكن أن توصف به النَّفس الحزينة . إنّها الأم الثكلى ، التي اجتمع عليها شعور الضَّياع بقتل الزَّوج ، ومرارة الألم بفقد الابن قائلة :

وبعد الخير علقمة بن بشرٍ ..... إذا نَزَت النّفوس إلى الحُلُوقِ[١]

الشَّخصية السادسة (القبيلة) التي فقدت زعيمها وسيدها وأصبحوا حوله في ميدان المعركة أشبه بجذوع النَّخل المحترق ، وآثرت الشَّاعرة وصفهم بالنَّخل في علوه وارتفاعه أو في عموم نفعه أو في الاعتماد عليه وعدم الاستغناء عنه في تلك البيئة العربية محدودة المقومات الحياتية فقالت :

وبعد بني ضُبيعة حول بشرٍ ..... كما مالَ الجذوعُ من الحريقِ

كما يلاحظ هنا أنَّها أرادت من طرفٍ خفيّ أن تصفهم بالعزة والشموخ حتّى وهم صرعى في أرض المعركة فاختارت نفسها التَّعبير عن ذلك بكلمة " مال " ولم تقل سقط ، ففي السقوط ضياع للهيبة ، ووصف بالذُّل والهوان .

وقد تكرر ذكر بشر في ثلاثة مواضع في النَّص صراحة في البيت الثاني والثالث والرابع ، وضمنًا في البيت الأول فما كان لوم العاذلة إلا لحزن الشَّاعرة على فراق بشر ، وفي البيت العاشر أيضا ضمنًا فما كان ضياع القبيلة ليحدث لولا فقد سيدهم بشر . وهذا التكرار لذكر" بشر " صراحة وضمنًا له

---

[١] – الديوان ص ٢٧

دلالته النَّفسية عند الشَّاعرة فهو يؤكد شدة حزنها عليه وأنه الغائب الحاضر في مخيلة الشاعرة ووجدانها .

وأفراد القبيلة موصوفون في النص بعدة صفات فهم : كرماء ، أهل للثقة والمعروف ، شجعان لا يهابون ، أصحاب همة عالية ، لا يُنادمون إلا الملوك، لهم حظوة عندهم ، يُلحقون الذّل بأعدائهم .

والشَّاعرة تتحدث بلسان قومها مثلها في ذلك مثل كثير من أبناء العصر الجاهلي تذوب شخصيتهم في قبيلتهم ، وتغيب ذاتهم في كيانها ، فلا حديث منفرد عن نفسها بل من خلال قبيلتها " فغياب الذَّات ، وبروز القبيلة واضح عند الخِرْنق ، وهذا يُؤكد لنا بأنَّ المرأة العربية منذ القدم كانت حاضرة في المجتمع فاعلة في الأحداث ، مشاركة في الوقائع ، فأفقها أوسع من حدود منزلها ، وتفكيرها لا يقتصر على دارها[1] "

ولا شك أن ما وصفت به قومها ورجال قبيلتها ينسحب تباعًا على زوجها، فهو فرد من مجموع ، وما كان حديثها عنهم إلا بدافع الحديث عنه ، والعكس صحيح .

وهنا فائدة أودُّ الإشارة إليها ، فحديثها عن قومها ، وغياب ذاتها بداخلهم يهدم فكرة أنَّ الفنان نرجسي[٢] بطبعه ، ويُذكرنا بهذا التَّساؤل الذي طرحه د/ عز الدين إسماعيل عندما قال " أصحيح أنَّ الفنان مفرط في حبِّ ذاته وفي تقديره لها واعتزازه بها ؟ وهل يمكن أن يكون الإفراط في حب الذات مُفسّرًا لكونه فنانًا ؟ أم هي نرجسية خاصة يتميز بها الفنان ؟[3] "

---

[1] – البعد القبلي في رثاء الخرنق –د/ إبراهيم صالح حسين ص ٣٢٩

[٢] – النرجسية : الاعجاب المفرط بالذات – معجم المصطلحات الأدبية – ص ٣٦٧

[3] – التفسير النفسي للأدب – ص ٢٤

ثمَّ أجاب عن هذا السؤال بقوله : " الفنان ليس نرجسيًا بالمعنى المألوف ، أو بالمعنى العادي للكلمة ، وذلك لأنّه لا يُغرم بذاته ولا يصنع من نفسه بطلا كما يصنع الحالم باليقظة[1] "

فحبها لذاتها له نفس مقدار تعلقها بقبيلتها فهي لا ترى نفسها إلا من خلالها، ولا ترى إلا ما تراه قبيلتها حتى إنه ليُخيّل إليّ أن حزنها على ما حدث لقبيلتها بضياع " بشر " أكثر من حزنها الشخصي على فقده .

الشخصية السابعة (القاتل) عُميلة بن المقتبس الوالبي ، وما نصّت الشاعرة على اسمه صراحة إلا لأنها كارهة له ، وحانقة عليه ؛ فقد كان سببًا في تبدّلِ حالها وحال قومها ، وهذا التَّصريح مقصود منها لأنَّه ؛ يُمثل لها بؤرة نفسية مؤثرة في حياتها فعلى يديه قلب لها الدّهر ظهر المِجن ، وتغيّر حالها ، وشأن قومها ، والإنسان بطبيعة الحال لا ينسى من كان سببًا في سعادته ، ولا من كان سببًا في حزنه.

مَنتْ لهم بوالبة المنايا ... بجنب قُلابِ للحين المسوقِ

ومما يدعو للعجب والدَّهشة أن ترى تلك المرأة العربية الجاهلية تؤمن بالقدر، وتقف أمامه عاجزة لا تحرك ساكنًا ، ويظهر ذلك في قولها "منت لهم " فقد هدتْها فطرتها السليمة ، وعقلها الرَّاشد إلى أنَّ هناك أقدارًا حتمية لا محيص عنها ، وترى نفس المعنى في قولها :

لاقوا غداة قُلابَ حتفهمُ ..... سَوقَ العتيرِ يُساقُ للعترِ[2]

فقد شبَّهت الموت يُساق إليهم بالذَّبيح يُساق للذبح دونما إرادة . ولعلها بذلك تريد أن تخفف عن نفسها وطأة الأحزان ، كشكل من أشكال الانزياح

---

[1] –المرجع السابق ص ٢٨

[2] – الديوان ص ٣٢ * العتير : الذبيح

النَّفسي إذ رسّخت في نفسها قناعة أننا لا نستطيع أن نفعل شيئا أمام إرادة القدر .

الشخصية الثامنة (المكان) مسرح الحدث ومكان المعركة عند جبل قُلاب الذي كان شاهدًا على ما حدث من أمر زوجها وابنها وقبيلتها ، وهنا أيضا تلمح حتمية القدر الذي ساق زوجها وقومها إلى الموت سوق البعير مسلوب الإرادة . هكذا كانوا أمام مجريات القدر يسوقهم إلى الموت دونما دفع منهم .

وتحديدها لمكان المعركة أمر لا يُفيد أحدًا غيرها فهي تريد أن تُسجل الحدث بكل مفرداته ، فما الذي يستفيده المتلقي من كون المكان عند "قُلاب " أو غيره ؟ أمَّا هي فيعني لها ولقومها الكثير . فوراء ذكرها للمكان غرض تقصده وغاية تسعى إليها ، فالمكان يعني لها ذكرى ، وحدثًا ، وأزمة نفسية ، ولواعج شوق تهفو إليها ، حيث فقد الزوج ، وقتل الابن ، وضياع القبيلة ، المكان يعني لها حياة جديدة بائسة فرضت نفسها عليها ومطلوب منها التكيّف معها ، وذكريات مؤلمة لا يمحوها الزمن.

الشخصية التاسعة (نساء القبيلة) وقد وصفتهنَّ بصفات عدة فهن : طاهرات عفيفات ، يُشاركْنها الإحساس بألم الفقد ، وهنَّ فاقدات الأمن والأمان فقالت :

وبيضٍ قد قعدْنَ ، وكلُّ كُحلٍ ..... بأعينهنّ أصبح لا يليقُ
أضاع بضوعهن مُصابُ بشرٍ ..... وطعنة فاتكٍ ، فمتى تفيق؟!

بحديثها عنهنَّ إنّما تتحدث عن نفسها وتدخل ضمن مجموعهن ، وهنَّ كثيرات لا حصر لهنَّ بدلالة التنكير في قولها " بيض " والأصل " ورب بيض " أي نساء بيض عفيفات شريفات . كان الكحل يليق بأعينهنَّ قبل أن يحدث ما حدث . أما الآن فالحال تغير وتغيرت شواهده ، والكحل عندها وعند غيرها

رمز للزينة والجمال ، فنزعت عنهنَّ أدوات الجمال والزينة لتعكس ما وراء ذلك من شدة حزنهن الذي دفعهن دفعًا لترك ما تتزين به المرأة في تلك البيئة العربية البسيطة غير المعقدة .

ويا لروعة تصويرها الحسي للحزن الذي لحق بها وبهن بما جعل كلّ كحل بأعينهنَّ لا يليق ولا يستقر من كثرة البكاء على ما حدث ، فقد كان " للكحل النازل مع الدَّمع دلالة حزن أخرى مضافة إلى النَّص ولا سيما لما يحمل اللون الأسود من دلالات الحزن ، فضلا عن امتزاج أشياء الزينة والجمال " الكحل " بدموع الحزن ؛ لتشير إلى أن البكاء على بشر أذهب كلّ جمال ، فالعيون لم تعد تقارب الكحل ، فبدت غاشية الحزن لا تغادرها ، فهي تدرك تمامًا أنَّ العين إذا فسدت أفسدت الوجه [1] "

وللكحل ولونه الأسود دلالته النَّفسية ، حيث يُلقي بظلاله على عَتامة الصورة وسوداوية المشهد ذلك أن " ألوان الأشياء وأشكالها هي المظاهر الحسية التي تحدث توترًا في الأعصاب وحركة في المشاعر . إنها مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها في الناس . لكن المعروف أنَّ الشَّاعر – كالطِّفل – يُحب هذه الألوان والأشكال ويُحب اللعب بها . غير أنه ليس لعبًا لمجرد اللعب ، وإنّما هو لعب تدفع إليه الحاجة إلى استكشاف الصورة أولاً ، ثم إثارة القارئ أو المتلقي ثانيًا . فالشِّعر إذن ينبت ويترعرع في أحضان الأشكال والألوان سواء أكانت منظورة أو مستحضرة في الذّهن[2]"

ناهيك بقولها " أضاع بضوعهن " وما يحمله هذا التَّعبير من قسوة الإحساس بالفقد ، والشعور بالذل والمهانة بعد الرفعة والشرف ، وما وقر في قلوبهنَّ

---

[1] – البعد القبلي في رثاء الخرنق ص ٣٢٨

[2] – التفسير النفسي للأدب – د/ عزالدين إسماعيل ص ٥٩

من مشاعر الخوف الشديد لأنّهن ؛ يدركن تمامًا مكانة " بشر " بينهنَّ وما كان يقوم به من الدِّفاع عنهنَّ ، فضاعت بضوعهن بضياعه وهذا يؤكد ما ذهب إليه أبو عمرو بن العلاء من قوله : " لمّا قُتل بشر ، سبيت نساؤه ، فنكحن بلا مهر ، فرخصت البضوع بلا مهر " [1] فقد ضاع من كان يحمي حمى الأعراض ويذود عنها بشجاعته ، وبسالته لذا ؛ لم يقدر على قتله سوى " فاتك " دون غيره بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ متناقضة ، فالفاتك : الجريء الشجاع وهو أيضا : المجرم السفّاح أو الخليع الماجن ،[2] وأيًا كانت صفات القاتل الفاتك فكلها تُؤدي في النِّهاية إلى معنى القوة والشجاعة ، وما ذلك إلا لأن بشرًا هو الآخر قوي وشجاع وجرئ .

وتختم الشَّاعرة قصيدتها باستفهام يُجسِّد المعنى الحقيقي للألم " فمتى تفيق ؟ " استفهام موجه للفقيد يحمل في طياته شُحنة انفعالية ممزوجة بالحزن الشديد ، أنّى لهذا الزوج أن يُجيب ؟ وكيف سَوّغ لها خيالها أن تتوجه بالسؤال لميْتٍ ؟ سؤال مَفاده متى تنهض أيُّها الزَّوج الفارس لحماية الأرض والعرض ؟ النهاية مؤلمة ، وإجابة السؤال أشد ألمًا ...حيث لا رجعة ولا نهوض...

أنشودة حزينة إيقاعها نغمات بحر الوافر (مفاعلتن – مفاعلتن – فعولن) عروضه وضربه " مقطوفان[3] "

---

[1] – الديوان ص ٢٤

[2] – لسان العرب مادة : ف.ت.ك

[3] – القطف : اجتماع الحذف مع العصب ، والحذف هو حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة ، والعصب هو تسكين الخامس المتحرك .– انظر : أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية – تأليف : محمود مصطفى – شرح وتحقيق : سعيد اللحام – ط– عالم الكتب ص ٢٨

مفاعلتن مقاطعها ثلاث (مفا) (عل) (تن) والحدث مقاطعه ثلاثة الأول : فقد الزَّوج ، والثاني فقد الابن والثالث ضياع القبيلة.

يبدو لي أن الإحساس المُفرط بالحزن بسبب الفقد تدرج في نفس الشَّاعرة من الأدنى إلى الأعلى ، حيث تبدأ المصيبة بفقد الزوج ثم تعظم بفقد الابن ثم تتضخم بضياع القبيلة ، والقبيلة تعني لها وطنًا وحماية ووجودًا...

ألم فقد الزوج صاحبه غُصة في الحَلق أدت إلى صُعوبة ابتلاع الرِّيق (فقد أشرقتني بالعذل ريقي) ، أمَّا ألم ضياع القبيلة فقد صاحبه عدم انسياغ للريق (فما ينساغ لي من بعد ريقي) تلك الغُصة ، وذاك الانسياغ حقيقة وليس ادعاء يشعر بهما من عظُمت مصيبته . أعاذنا الله وإياكم من ألم الفقد، ومرارة الفراق .

والتجربة الحزينة مغلفة بروي القاف المكسور ، والقاف حرف من صفاته: الشِّدة والجهر والاستعلاء والانفتاح والقلقلة[١] ، وتلك صفات تناسب الحديث عمَّا حدث للشَّاعرة وقومها ، فهي المرأة العربية القوية ، تجهر بصوتها لينهض قومها في وجه أعدائهم ، و تستصرخهم حتى لا يكونوا لقمة سائغة لعدوهم ، نفسها تأبى الدّنو وتبغي الاستعلاء والفخر ، تنفتحُ على مواجهة مشاكلها ولا تعرف القهقري ، وإن كانت تحمل في طويتها بعضًا من الإحساس بالقلق على مستقبلها ومستقبل قبيلتها .

و القاف مصحوب بحركة الكسر ، بما يعني أنها مهما حاولت التَّظاهر بالقوة والجَلَد يظهر من حين لآخر رغمًا عنها انكسار نفسي أمام نوائب الدَّهر، ومُجريات الأقدار . ومع ذلك تجد هذا الكسر المصاحب لحرف الروي

---

[١] – انظر : كتاب : مخارج الحرف وصفاتها – أحمد الشرقاوي ص ١٢، ١٥ وما بعدها

قد رفض الانصياع في بيت من أبيات القصيدة وغلبه الضَّم وفرض نفسه مكانه حيث قالت :

وبيضٍ قد قعدن ، وكلّ كُحلٍ ..... بأعينهن أصبح لا يليقُ

وما كان هذا الإقواء [1] إلا تعبيرًا عن اضطراب نفسي أصابها ووقع أثره على حركة حرف الروي فكانت تلك الحركة" الضّم " المخالفة لحركة الرَّوي" الكسر " السابق واللاحق تعبيرًا صريحًا عن تغيير الحال ، وتبدل الأحوال ، وتنبيها للقارئ على ما حدث ، لأن ما حدث لها ولقومها أمر جلل وخطب عظيم يستلزم الانتباه ، والوقوف عنده حيث تغير المسار ، وتبدلت الأحوال.

[1] – الإقواء : اختلاف حركة حرف الروي المطلق بالضم والكسر – انظر : أهدى سبيل إلى علمي الخليل – ص ٥٥

المقطوعة الثانية (نَدبُ الزوجِ)

قالت الشاعرة تندب زوجها

ألا ذهب الحلالُ في القفراتِ .ومن يملأ الجفان في الحجراتِ ؟

ومن يرجعُ الرّمحَ الأصمّ كعوُبُهُ ..عليه دماءُ القومِ كالشّقراتِ ؟[1]

أطلقت على هذين البيتين مقطوعة تجاوزًا فمن المعروف في اصطلاح العروضين أن البيتين يُطلق عليهما " نتفة . "

لو لم تنظم الشَّاعرة سوى هذين البيتين في رثاء زوجها لكفاها ذلك ...فقد جمعت فيهما كل معاني الفخر والعزة ، وكل معاني الحزن والألم . واستخدمت من الأدوات التّعبيرية والتّصويرية ما يخدمُ تلك المعاني ويُعبّر عن المقصود.

يُطالعك في الاستهلال " ألا " الاستفتاحية ، وفي الختام الاستفهام التقريري الذي لا ينتظر إجابة عنه وإنّما يدفعكَ دفعًا إليها فتستقر في النَّفس ويستوعبها العقل ، ثمَّ تتبعه باستفهام تقريري آخر يحمل شُحنة انفعالية تُؤكد نفس معنى الاستفهام الأول ، ومفاد ذلك : من يُطعم الناس في وقت القحط والجدب والسنوات العجاف ؟ ومن يُحقق النَّصر على الأعداء ويَرجعُ وقد تلوّن رمحه بدمائهم ؟ أو بمعنى آخر من يُطعم الجائع ؟ ومن يُؤمّن الخائف ؟ فتكون الإجابة : لا أحد يفعل ذلك بعد بشر . ولا شك أنَّ كثرة التساؤلات تبرز حجم الفراغ الذي تركه قتل بشر ، إذ تكثر الاستفهامات في زمن الفقد للبحث عن الذَّات ، ومحاولة تلقّي الصَّدمة.

والاستفهام التَّقريري يُشعركَ بأنَّ النّهاية مفتوحة لا تعرف لها الشَّاعرة غاية، وتُعطيكَ إحساسًا بالضّياع وعدم الاستقرار فكشف الاستفهام من طرفٍ خفي عمَّا تنطوي عليه نفس الشَّاعرة من أحاسيس مُتضاربة ومُتناقضة .

---

[1] – الديوان ص ٣٤

ثمَّ ماذا بعد فقد الطَّعام والأمن ؟ ماذا عساه الإنسان أن يطلب بعدهما؟ قال تعالى في محكم التنزيل : " فليعبدوا ربَّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف "[1] والشَّاعرة بهذين البيتين تُركّز على صفتين مهمتين اتصف بهما زوجها بشر ، وهما " الكرم والشجاعة " وهما عماد الحياة عامة، وحياة الجاهلية خاصة لما هو معروف عن تداعيات هذه البيئة حيث الجدب الذي يهدد عيشها ، والإغارة التي تهدد كيانها ووجودها .

ويقول أحد الباحثين تعقيبًا على هذين البيتين ، وقوة تأثيرهما في نفس المتلقي:" تقول راثية زوجها دون ذكر اسمه ، وقد ملأ عليها قلبها وعقلها فلا حاجة للتصريح به ، واختارت صيغة الجمع مع أنّها تريده هو لا غيره حين كان يحل في الأرض المقفرة فيُحيلها إلى أرض خصب وكرم وسخاء ، وربّما وجدت في الفعل " ذهب " تكثيفًا لحزنها العميق في صدرها ، ورمزًا لأسعد حقبة زمنية شهدتها في حياتها ، فها هي ذي بعد موته فقدت كل شيء وسُقط في يدها ، وفي " ذهب " انهيار البناء والأمجاد ، لقد ذهب ولن يعود بشر الذي اعتاد ملء الجفنات ليقري ضيوفه حتى وهو مقيم في القفرة المجدبة ، وفعل " يملأ " جاء متمما لغايات الكرم والإطعام[2] "

هذا في حال السِّلم . أمّا في حال الحرب فهو المُدافع ببسالة وشجاعة يُحقق النصر على أعدائه ، وشواهده أنه يرجع وقد لوّن رمحه بدمائهم .

ونستطيع من خلال هذين البيتين أن نقف على الحجم الهائل للصدمة النَّفسية التي تعرّضت لها الشَّاعرة بموت زوجها ، ذلك أنَّ الموت المفاجئ

---

[1] – سورة قريش آية رقم ٣

[2] – ديوان الخرنق دراسة فنية – د/ زكريا صيام – ص ٧٦٤

وغير المتوقع لشخص ذي صلة وثيقة يشكّل نوعا من الصدمات التي لا ينساها الإنسان ومن الآثار النَّفسية المترتبة على الصدمة النفسية :

فقدان الثقة تجاه الآخرين بشكل كبير ، والاحساس بالعجز والحزن العميق هذا بالإضافة إلى الشّعور بفقد الأمل وضياع الاسترشاد ، كما أنَّ المصابين بالصدمة النّفسية لديهم الإحساس بأنه يُمكن أن يحدث شيء مُخيف في أي وقت ولذلك لا يُمكنهم التخفيف من حدة الإجهاد العصبي والحصول على الطمأنينة يضاف إلى ذلك الإحساس الكبير بالرعب والخوف الشديد من المجهول والشّعور بالوحدة الشديدة بالرغم من الدّعم الاجتماعي[1] .

هذا بالفعل ما حدث للشَّاعرة ، ووضح تمام الوضوح في هذين البيتين من خلال فقد الثقة في الآخرين ممن يُفترض منهم القيام بالدور الذي كان يقوم به بشر فتساءلت من يُطعم الجائع ؟ ومن يُؤمن الخائف ؟ وبالتالي ترسّخ لديها إحساس بأنَّ ثمة شيء مُخيف عساه أن يحدث في أي وقت ، وأنَّ مستقبلها ومستقبل قومها أصبحت الرؤية فيه ضبابية ، والمشهد مجهولا بالنسبة لها فأصبحت تعاني من رُعب شديد وخوف من الآتي الذي عبّرت عن جزء منه بفقد الطعام وفقد الأمن .

الجُرحُ غائرٌ ، وألم الفقد شديد على النَّفس ، والحديث عنه يطول بطول تفعيلات " بحر الطويل " (فعولن – مفاعيلن) بواقع ثمانِ تفعيلات في البيت وأربع في كل شطر . بحر عروضي لا يعرف سوى صورة التمام ، يأبى الجَزءُ أو التشطير ، وتفعيلة تغلب فيها الحركات على السواكن ، وما تلك الحركات إلا صرخات متوالية من الشَّاعرة تستنهض بها قومها حتَّى يُواصلوا المسيرة ، ويُدركوا خطورة الوضع القائم بعد فقد بشر ، وأن الأمر لم يعد كسابق عهده

---

[1] – لمزيد من التفصيل راجع : leitfaden- trauma-arabisch-web-2017-06.

. إلا أنَّها تصطدم بسكنات تُحاول أن تُعرقل الحركات بصورة متوالية ، وسكون يُمثّل الوقوف أمام صدمات الدّهر ، وتقلبات الزمن حتى يستطيع المكلوم إعادة صياغة حياته بشكل جديد يكون به متكيفًا مع الواقع المرير .

أحزانها لا تنتهي ، وإن حدث فإذا بالكسر يتوّجها في حركة روي التاء المكسور ، والتاء من صفاتها الهمس ، وكأنّي بالشَّاعرة تهمسُ في أذن كلّ مُتَلق سامعًا كان أم قارئًا بما تعج به مكامن نفسها ، وتنطوي عليه حنايا صدرها تأمل بذلك أن تنفث عن صدرها بعض أنّات قلبها.

القصيدة الثالثة : (الفخر بالزوج والقبيلة)

شعر الخِرْنق قطعة من نفسها ، وصورة من حياتها ، وحياة قومها . فقد مثّلت فيه شخصية المرأة العربية أصدق تمثيل ، ففي شعرها تجد صفاء الصَّحراء ونقائها ، وفي أسلوبها تجد صلابة الصّخور وقساوتها ، ويطالعك في شعرها شدة ولائها لقومها ، ووفاؤها لقبيلتها ولزوجها فهي القائلة عن قومها متغنية بأمجادهم وأيَّامهم :

لا يبعدنْ قومي الذين همُ.... ... سُمُّ العَدَاة وآفة الجُزرِ[1]
النّازلون بكلِّ مُعْتركٍ ..... والطَّيبين مَعاقد الأُزرِ
الضَّاربون بحَوْمةِ نُزِلت ..... والطَّاعنون بأذرعِ شُعْرِ[2]
والخالِطُون نَحيتهم بنُضَارِهم ... وذوي الغنى منهُم بذي الفقرِ[3]

---

[1] – لا يبعدن : بفتح العين بمعنى لا يهلكن ، وبضمها من البعد .
الجزر : جمع جزور وهو :ابن الناقة .

[2] – نحيتهم : خامل الذكر والمقصود فقيرهم – المصدر السابق مادة : النُّضار : الذهب أو الجوهر والمقصود به هنا الأغنياء وعلية القوم منهم – لسان العرب – مادة : ن. ض. ر

[3] – لغطا : كلام غير مفهوم – التأييه : التصويت – الزّجر : التعنيف والتأنيب .

إنْ يَشربوا يَهَبُوا ، وإنْ يَذَروا ..... يتواعظوا عن منطقِ الهُجرِ
قومٌ إذا ركبوا سَمِعْت لهم ..... لغطًا من التّأييه والزّجرِ[١]
من غير ما فُحشٍ يكونُ بهم ..... في منتج المُهرات والمُهْرِ
هذا ثنائي ما بقيتُ لهم ....فإذا هلكتُ أجنّني قبري
لاقوا غداةَ قُلابَ حَتْفهمُ ..... سوق العتير يُسَاقُ للعَترِ[٢]

افتتحت الشاعرة حديثها عن قومها بالدعاء لهم بألا ينالهم هلاك ، أو تشريد ، وهذا كثير في الشعر الجاهلي ، وهو في الرثاء من معاني الندب للميت ، وقد جمعت لهم من الصِّفات ، وجميل الفِعال ما جعلهم يتميّزون عن غيرهم ، ويتقدمون عليهم ، وهو في الرثاء من معاني التأبين ، فهم أقوياء أمام أعدائهم أشُداء عليهم ، كُرمَاء على قومهم وبني عشيرتهم ، كما أنَّهم موصوفون بالشَّرف والعفاف ، ينزلون إلى أرض المعركة وقد احتدم القتال ، وحَمِيَ الوطيس ، كما أنَّ لهم من جميل الأخلاق ورفعتها ما يجعلهم لا يحجبون أنفسهم عن فقرائهم بل يُخالطونَهم في سماحةِ نفسٍ ، وطيب خاطر، وهم بذلك يُمثلون مجتمعًا مثاليًا لا يَعرفُ الطَّبقية التي كانت من أبرز آفات المجتمع الجاهلي ، وهم يُعطون بلا حدود عندما يشربون كؤوس الخمر ، وإن تركوها رجعوا إلى ما كانوا عليه ، والأصل أن يكون الإنسان معطاء في كل حالاته فهي بذلك قد وقعت فيما وقع فيه حسان بن ثابت عندما قال مفاخرا:

ونشربها فتتركنا ملوكا ..... وأسدًا ما يُنهنهنا اللقاءُ[٣]

---

[١] – العتير : الذبيح .

[٢] – الديوان ص ٣٢

[٣] – ديوان حسان بن ثابت – شرحه وقدم له : الأستاذ عبدأ مهنا – ط– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط– الثانية ١٩٩٤ ص ١٩

ومن قبله تغنى طرفة بقوله :

فإذا ما شربوها وانتشوا .... وهبوا كل أمون وطمر[1]

بينما ترى د/ يمنى في صورة الخرنق ، وما وصفت به قومها مدحا وليس قدحا ، فالشاعرة تمدح قومها في كل أحوالهم : في حال السُكر بالعطاء ، وفي حال الصحو بالبعد عن فاحش الكلام[2]

وأرى ما ذهب إليه البغدادي ، فما المانع أن يوصف الشخص بالعطاء في صحوه وسُكره ؟ ويضاف إليه أيضا عفّة اللسان والامتناع عن فاحش القول فهذا أبلغ في الوصف ، وآكد للمدح.

والحق أن الشاعرة عندما وصفت قومها بذلك صراحة وزوجها ضمنا ، قصدت من وراء ذلك غاية أسمى هي تحقيق صفة السيادة فيهم لأنه من المعروف أن شرب الخمر في الجاهلية مقصور على طبقة السادة دون غيرهم، فجعلت من شربهم للخمر ، وكرمهم دليلا على السيادة والزعامة ، والكلام إذا صاحبه الدليل والشاهد كان أقوى ، وأثبت من غيره .

وهم لا ينطقون بفاحش الكلام ، ولا يستخدمون ذلك حتَّى مع حيواناتهم العجماء فما بالنا بغيرهم من بني الإنسان ، والشَّاعرة بذلك إنَّما تصفهم بالرّقي والتّحضر ، فتُميزهم عن غيرهم من سائر أفراد المجتمع الجاهلي.

وختمت أبياتها بالمثول إلى القدر المحتوم وفيه دعوة للرضا والصبر فجعلتهم يساقون إلى الموت سوق الذبيح المكره الذي لا يملك من أمره شيئا، وهو في الرثاء من معاني العزاء حيث قالت :

---

[1] – ديوان طرفة – شرحه وقدّم له ، مهدي محمد ناصر الدين – ط– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ط– الثالثة – ٢٠٢٣ ص ٤٣– الأمون : الناقة يطمئن الراكب لها – الطمر : الفرس المرتفع .

[2] – شعر الرثاء بين الخرنق والخنساء – بحث بمجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة – ص ٣٥

لاقوا غداة قُلاب حتفهم ..... سوق العتير يُساق للعتر

تلك الصورة التي تجسد فيها مشهد الموت ، وحتمية القدر تعكس من خلالها بُعدا نفسيا استقر في نفسها عن تصوّر الموت ، فهو عندها ليست له إلا صورة واحدة فقط هي صورة القتل ، التي غيّرت حياتها عندما تم إعمالها في الزوج ، والابن ، ورجال القبيلة الذين قُتلوا يوم قُلاب ، والأخ الذي قُتل على يد أحد المتكبرين ، ، فدائما تصارعها آلة القتل فتصرعها ، وتغلبها على أمرها ، فأصبحت من تكرار المشهد أمامها تفكر في تجربتها المتكررة مع الموت ، والذي لا تتغير صورته عندها ، وهي العاقلة المفكرة تتدبر الأمور من حولها ، وتتفقد مجريات الأحداث التي كانت سببا في تغيير مسار حياتها، بل ، وحياة قومها .

المقطوعة الرابعة : (صوتُ الذكرياتِ)

قالت الشاعرة في رثاء زوجها مستحضرة من خلال حديثها عبق الماضي التَّليد ، وصورة من بطولاته :

لقدْ علمتْ جديلةُ أنّ بشْرا ..... غداةَ مُربّحٍ مُرُّ التقاضي
غداةَ أتاهُمُ بالخيلِ شُعثا ..... يدقُّ نسورَها حدّ القِضَاضِ
عليها كُلّ أصيدَ تغلبيٌّ ..... كريم مُركّبِ الحدّين ماضِ
بأيديهمْ صوارمُ مرهفاتٌ ..... جَلاها القيْن خالصةُ البياضِ
وكل مُثقف بالكفِّ لَدْنٍ ..... وسابغةٍ من الحِلَقِ المُفاضِ
فغادر مَعْقِلا وأخاه حِصْنا ... عفيرَ الوجه ليس بذي انْتهاضِ[١]

---

[١] – الديوان ص ٣٦* جديلة : بطن من أسد * مربح : يوم انتصر فيه بشر على جديلة أو مكان المعركة – الديوان * أصيد : المتكبر أو المغرور– * الصوارم : من أسماء السيف ويقصد به السيف الثقيل تحديدا – لسان العرب مادة : ص . ر. م . * القين : =

عندما تُطلُ الذكرياتُ برأسها مقتحمة عالم الواقع فليس أمام المرء سوى الاستسلام لها ، فإذا بها تُتبع الصورة بالأخرى والمشهد بغيره ، وسرعان ما يجد الإنسان نفسه في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض من الذِّكريات الهائلة التي تقذفه في نهاية الأمر إلى شاطئ من التَّداعيات المؤلمة ، والذِّكريات المريرة . فقد أرادت الشَّاعرة الهروب من الواقع المرير القاسي ، والانتقال بخيالها إلى عالم الذِّكريات الحُلوة، وعبق الماضي التَّليد ، وفي ذلك قسط من الرَّاحة النَّفسية ، والطمأنينة الذَّاتية يكون المرء بعدها قادرًا على مواصلة السَّير ، واستئناف حركة الحياة . كما أنها تبغي من وراء استحضار تلك الذكريات استنهاض الهمم ، والدعوة غير الصريحة للأخذ بالثأر من أولئك الذين أصابوهم في مقتل ، وشتتوا جمعهم ، وكسروا شوكتهم.

إنَّه مشهد من مشاهد الماضي الجميل ، كان فيه النَّصر على الأعداء، والظَّفر بهم تمَّ استحضاره في مخيلة الشَّاعرة فتحدثت عنه مُصدّرة حديثها بحرف التَّحقيق " قد " مؤكدا باللام مُدعّما بالفعل الماضي " عَلِمَ " ، ومؤكدة حصول النَّصر لزوجها وقومه بإنَّ واسمية الجملة ، ومُوثِّقة الحدث بتحديد المكان " مُربّح " ومُؤكدة بشارة النَّصر بتقديم أسبابه " مُر التَّقاضي. "

لقد كانت الشَّاعرة حريصة على تسجيل الوقائع التي تُمثّل تاريخ قبيلتها، فسجلت يوم النَّصر في " مُربّح " ويوم الهزيمة في " قُلاب " وربُّما دفعتها

من يصنع السيوف – المصدر السابق مادة : ق. ي. ن * المثقف : الرمح المهذب ويقال إنسان مثقف أي مهذب دمث الخلق عف اللسان على درجة عالية من الرقي – – والتحضر– المصدر السابق مادة : ث.ق.ف * اللدن : الطري السهل السيطرة عليه – * سابغة : واسعة – * عفير الوجه : ممرغ في التراب * معقل وحصن : فارسان قتلهما بشر .

رغبتها في دقة التَّسجيل إلى ذكر أسماء أشخاص بارزين في الأحداث مثل" معقل " و" حصن " أو أسماء أماكن مثل " قُلاب " و" مُربح " ، وهي وإن عبّرت عن " معقل وحصن " بصيغة الإفراد والصحيح التثنية بطبيعة الحال ، وقد يعزو البعض ذلك إلى الضرورة الشِّعرية فالأصل أن تقول " عفيري الوجهين ليسا بذي انتهاض[1] "

وإن كنتُ أرى أن التعبير بصيغة الإفراد مقصود من الشَّاعرة للتقليل من شأن أعدائها والاستهزاء بهم ، وخصّت الوجه تحديدا دون غيره إمعانًا في التحقير ، ومبالغة في وصفهم بالذّل والهَوان.

والتَّعبير عن الصّورة الذِّهنية في شكلها المحسوس غالب عند الشَّاعرة فالزوج الفقيد موصوف بأنَّه : صلب صعب الانقياد ، لا ينصاع لأحد ، يترك أثر بأسه مرارة في حلق أعدائه " والشَّاعر حين يستخدم الكلمات الحسية بشتى أنواعها لا يقصد أن يُمثّل بها صورة لحشد معين من المحسوسات بل الحقيقة أنّه يقصد بها تمثيل تصور ذهني معين له دلالته وقيمته الشُّعورية [2] "

وللفرس نصيب في وصف الشَّاعرة فقد أسبغت عليه مجموعة من الصِّفات انسحبت بطبيعة الحال على الفارس" الزّوج " ، فالفرس " أشعث " و" يدق الحصى بحافره " وما كان ذلك إلا لأن من يركبه فارس شجاع مقدام أو كما وصفته هي بأنَّه " أصيد " و" كريم " و" مركب الحدين ماض " أما أدوات حربه التي يستخدمها في معاركه فقد وصفتها بأنَّها " صوارم حادة مصقولة ناصعة البياض " و " دروع سابغات " و" رماح مثقفة " إذن أدوات النّصر كلها مكتملة ، ومقدماته محققة فكان طبعيّا أن تكون النَّتيجة التمثيل بجثث

---

[1] – ديوان الخرنق دراسة فنية – د/ زكريا صيام ص ٧٧٠

[2] – التفسير النفسي للأدب – د/ عز الدين إسماعيل ص ٦٢

الأعداء فتُرِكَ " معقلا وحصنا " عفيري الوجه ليسا بذي انتهاض ، وتلك أمارات النَّصر وشواهده .

نحن أمام مشهد من مشاهد المعركة ، لو أردنا نقل هذه اللوحة من حالتها اللغوية التعبيرية إلى لوحة زيتية وظلال وألوان لكانت لوحة رائعة ناطقة معبرة عن الواقع . تجد في جانب منها طرفي النزاع يتصارعان " جديلة وبشر " محددة زمن المعركة بدقة " الغداة "حيث يُغطي غُبار المعركة المُتصاعد بعضًا من أشعة الشَّمس السَّاطعة ، على أرض " مربّح " ، والمعركة محتدمة ما بين ضرب بالسِّيوف وطعنٍ بالرماح ، وخيول جامحة صهيلها يجلجل في الأرجاء ، ودروع يرتديها فرسان شجعان ، وقتلى مُضرجون بدمائهم يعلو وجوههم غُبار المعركة ، ويظهر في ملامحهم أثر الكرّ والفرّ .

مشهد المعركة مُغلف بما يُناسبه من روي " الضَّاد" الشَّديدة القوية ، وحرف الضاد من صفاته : الجهر والرخاوة والاستعلاء والإطباق والاستطالة والإصمات[1] . فتجد إصرارًا غريبًا من الشَّاعرة على أن تجهر بصوتها عاليًا تُسمع به القاصي والدّاني ، وتقول بملء فيها هكذا كنَّا ، وهكذا كان بشر ، حتَّى يعرف الجميع ما لقومها عامة ولزوجها خاصة من بطولات ، وانتصارات على أعدائهم وأن ما حدث يوم قُلاب قدر محتوم لا محيد عنه . أضف إلى ذلك مصاحبة رويّ الضاد للكسر الذي لا ترضى عنه الشَّاعرة بديلا في قصائدها التي رثت بها زوجها . وكأنِّي بالشَّاعرة مهما حاولت الهروب من الواقع المؤلم ، بأن تسبح بخيالها في ذكريات الماضي العذبة ، يُغالبها الحزن الداخلي ، ويُظهر ما بداخلها من كسرة النفس ووجع القلب . أعاذنا الله وإياكم من كسر الخاطر ووجع القلب ، والحمد لله على كل حال.

---

[1] – انظر : كتاب : مخارج الحروف وصفاتها – أحمد الشرقاوي ص ١٢، ١٥ وما بعدها

المقطوعة الخامسة : " تأبين ووفاء "

الأبيات التالية – على قلة عددها – تكشف لنا عن أبعاد شتى في رثاء الخرنق لزوجها بشر بن عمرو بن مرثد ، وإن كان ظاهرها رثاء ابنه عبد عمرو بن بشر حيث قالت :

ألا هلكَ الملوكُ وعبد عمرو ..... وخُليت العراق لمن بغاها

فكم من والدٍ لك يا ابن بشر ..... تأزّر بالمكارم وارتداها

بَنى لك مَرْثد وأبوك بشرٌ ..... على الشّمّ البواذخ من ذُراها[1]

استهلت الشاعرة مقطوعتها "بألا " الاستفتاحية مثلها في ذلك مثل كثير من أرباب الشعر الجاهلي ، فقد شاع عندهم أن يكون البدء بها ؛ تنبيها لما يُقال ، وشحذا للمخاطب لما يسمع ، وكأنها بصدد أمر هام يتطلب أن يلتفت إليها كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فالأمر جلل ، والخطب عظيم .

ثم تقفز داخل أتون الذكريات من خلال استخدامها للفعل الماضي " هلك " وما تحمله هذه اللفظة من الفزع والخوف فالهلاك يعنى الدمار والخراب ، خاصة إذا ارتبط بمن من شأنهم الحماية والرعاية ورأب الصدع ، مسندة الفعل هلك إلى فاعله " الملوك " وماذا بعد هلاك الملوك ؟ سقوط وضياع وتشرد وقتل وغزو وإغارة وأسر ، وعبودية ...الخ

وبعد فترة ليست بالطويلة تدرك أن الهلاك لم يكن قاصر على الملوك فقط بل شمل عبد عمرو بن بشر أيضا ، وكأن سائلا سأل : ماذا ترتب على هلاك الملوك ثم هلاك عبد عمرو بن بشر ؟ فكانت الإجابة في الشطر الثاني :

---

[1] – الديوان ص ٣٩

.....وخُليت العراق لمن بغاها

ويبدو لي أنها قصدت بالملوك هنا زوجها " بشر بن عمرو " فجعلته ملكا سيدا ، ولمَ لا ؟ وقد وصفته قبل ذلك بأنه ينادم الملوك ويجالسهم ، وله الحظوة عندهم ، عندما قالت في رثائه وتعداد مناقبه وهي بصدد الفخر بقومها :

ندامى للملوك ، إذا لقوهمْ ..... حُبُوا وسقوا بكأسهمُ الرحيقِ

فزوجها بشر بن عمرو ، هو الغائب الحاضر وبقوة ، حتى عندما تظاهرت بالوفاء لغيره " عبد عمرو بن بشر " فكشف لسانها عما يحتويه قلبها من حب وتقدير للزوج الحبيب " بشر بن عمرو.

وكانت النتيجة المترتبة على ضياع بشر بن عمرو ، وعبد عمرو بن بشر قاسية بأن أصبحت الأرض مستباحة لمن يريدها ، ومن قبل تم استباحة العرض عندما قالت في موضع آخر :

أضاع بضوعهن مُصاب بشر .... وطعنة فاتكٍ فمتى تفيقِ؟

وماذا تنتظر بعد ضياع الأرض والعرض ؟

ثم تحضر شخصية بشر بن عمرو للمرة الثانية في البيت الثاني وقد تأزر بالمكارم على تنوعها واختلافها بل ، ارتداها وجعلها رداءً على سبيل الاستعارة، وليس ذلك لبشر بن عمرو خاصة ، وإنما لكل أصوله من أب ، وجد بدليل استخدامها لفظة : كم " التي تدل على الكثرة في العدد بما لا حصر له :

فكم من والدٍ لك يا ابن بشرٍ.....

والمكارم التي أحاط بها بشر وأجداده لا يمكن تحديدها ، ولتذهب النفس في تفسيرها كل مذهب ، نتيجة للتعميم المفهوم من كلمة " المكارم " فشمل جنس المكارم جميعها .

هذا عن الابن عبد عمرو بن بشر ، والأب بشر بن عمرو ، فماذا عن الجد مَرْثد ؟ لقد بينت الشاعرة أنه بنى لهم مجدا بالمشاركة مع ابنه بشر ... وللمرة الثالثة تحضر شخصية بشر في المشهد في البيت الثالث ، فحصيلة ذلك أنه لم يخلُ بيت من أبيات المقطوعة دون أن يذكر فيه بشر بن عمرو، بما يجعلنا نعلنها صراحة أن المقطوعة ليست في رثاء عبد عمرو ، ولكنها في رثاء بشر ، وتُضم إلى مثيلاتها من تلك المقطوعات ، والأبيات التي رثت فيها زوجها بشر ، الذي جمع بين الحسنيين ، طيب الأصل ، ونباهة الفرع .

كما تعكس المقطوعة بوضوح شدة حبها لزوجها بشر . حتى لو فرضت عليها تقاليد ، وأعراف الجاهلية أن ترتبط بغيره ، كُرها.

حزن دفين ، ومشاعر مضطربة جعلت الشاعرة النابهة يعلو صوتها بأنشودة حزينة ، أو خطبة بليغة في تأبين زوجها ، بالحديث عن مناقبه ومكارمه وأصوله ، ومغلفة حديثها بالألف المتبوعة بالهاء الموصولة بمد الألف ؛ لعل صوتها يُسمع ، ومكنون صدرها يُفصح فيُفهم .

المقطوعة السادسة : " مشاهد من الطبيعة والطرد "

مناظر الطبيعة حاضرة وبقوة في شعر الخرنق ، تشاركها أفراحها وأتراحها، تسمع من خلالها صدى صوتها ، وتتخذ من وصف مشهد الصيد والطرد سبيلا للتغني ببطولات زوجها مستخدمة بذلك ما يُعرف بالمعادل الموضوعي[١] مبينة من خلال الصور والمشاهد المعروضة كيف كانت تنظر إلى زوجها ؟ إنها تراه بعين المحب العاشق فتجد فيه كل الصفات ، والخلال الحسنة ، والبطولات الخارقة فقالت مصورة ذلك :

---

[١] – المعادل الموضوعي : سلسلة من أحداث أو وضع معين تجعل انفعالا ذاتيا معينا شيئا موضوعيا – معجم المصطلحات الأدبية – ص ٣٣٥

يا ربَّ غيث قد قرى عازبٍ ..... أجشَّ أحوى في جُمادى مطير

قاد به أجردَ ذا ميعةٍ ..... عبلا شواهُ غير كاب عثور

فألبس الوحشَ بحافاتهِ .... والتقط البيْض بجنبِ السَّديرِ

ذاك وقِدما يُعجل البازل ال.... كوماء بالموتِ كشبهِ الحصيرِ

يبغي عليها القومَ إذا أرملوا ..... وساء ظنُّ اليلمعي القرور

آب وقد غنم أصحابه ..... يلوي على أصحابه بالبشير[1]

تخاطب الشاعرة الطبيعة بكل مفرداتها ، بصوت يعكس مدى تعلقها بها ، وبمشاهدها قائلة :

يا لروعة هذا النهار المطير ! لقد تكاملت فتنة الطبيعة بتكامل عناصرها صامتة ، وصائتة : سحاب غائم ، ومطر ساقط ، ورعد يدوي.

فما كان من أمر هذا الفارس" بشر بن عمرو " إلا أن يُلبي نداء الطبيعة الغرّاء ويخرج للصيد والطرد مصاحبا لذلك الفرس الأجرد القوي غليظ القوائم. يهجم على الفريسة فتقع مهزومة صرعى ، بعدها يبدأ الاحتفال بنحر النوق الضخمة للأصحاب إكراما لهم ، وتقديرا لمنزلتهم ، بتقديم الكرى لهم والاهتمام بقدومهم بفرش البُسط المُزينة في وقت يعزُّ فيه الزاد ، ويشتد فيه البرد القارس .

يلاحظ هنا أن الشاعرة لم ترضَ في كل صورة إلا الكمال ، والتمام ، ويتضح ذلك من خلال تفصيل عناصر الصورة كالآتي :

-سحاب غائم منتشر على مساحة كبيرة من الأرض.

-صوت الرعد يُجلجل في الأرجاء.

-فرس قوي نشيط ، خفيف الحركة ، غليظ القوائم ، وماهر في الصيد.

-ناقة ضخمة عظيمة السنام يتم ذبحها وتقديمها للضيوف إكراما لهم.

---

[1] – الديوان ص ٣٤

-برد قارس في وقت عزّ فيه الطّعام .

صور رسمتها الشاعرة بدقة متناهية جمعت فيها بين عنصر الرؤية ، والصوت ، واللون ، والحركة ، واستخدمت لتوضيحها مجموعة من الألفاظ الدقيقة ، والأساليب المُعبّرة ، فتكاملت تلك العناصر في رسم الصورة التعبيرية التي عكست إحساس الشاعرة بالطبيعة من جهة ، وحبها لزوجها وتقديرها له من جهة أخرى .

لقد استحضرت الشاعرة يوما من أيام الذكريات العذبة ، واختارت له مشهدا بطوليا تُعبر من خلاله عن صورة سيد القبيلة الذي يُطعم الجوعى في وقت يعزّ فيه الطعام والدفء ، فهو سيد يقوم بمسؤولياته على أكمل وجه ، ويدرك تمام الإدراك المهمة المنوط بها ، يتصرف بإيجابية فيخرج للصيد ، ويصارع الوحش ، ويحقق النصر عليه ثم يُقدّم ما يغنمه من صيده لأصحابه من أولئك الذين أصابهم البرد الشديد وبلغ منهم الجوع مبلغه .

أحسنت الشاعرة رسم الصورة ووظفتها بأن قدمت من خلالها صورة مُثلى للزوج السيد الشجاع ، الكريم ، والقائد المبادر .

تتسم الألفاظ المستخدمة في المقطوعة بالقوة والجزالة ، المستوحاة من قوة وعنفوان الطبيعة . يُطالعك منها قولها : " أجش ، أحوى ، ميعة ، كاب عثور ، اليلمعي "

تلك القوة تنعكس بدورها على وصف الزوج ، فقد كانت أولى صفاته ، وأكثرها وضوحا في المقطوعة ، بدليل ذلك الفرس الأجرد صاحب القوائم الغليظة ، الذي يصارع الوحش ، ويصرعه .

أما عن المعاني فقد اتسمت بالصلابة من جهة ، والغرابة من جهة أخرى فتشابهت بذلك مع تكون الألفاظ الدالة عليها.

وكما شابهت الألفاظُ المعاني ، وافقت الموسيقا الصور ، فاختارت لها الشاعرة ما يشاكل رحلة الصيد والطرد ، وأقصد تفعيلة بحر السريع (مستفعلن) تفعيلة تتغلب فيها الحركات على السواكن ، حيث مشهد الكر والفر ، ومطاردة الوحش ، والإيقاع بالفريسة في شَرك الصياد الماهر ، والذبح ، والقرى ، والحفاوة بالأصحاب. مشاهد سريعة ، ومتوالية لا تتوقف إلا عند آخر تفعيلة في آخر بيت في المقطوعة .

بينما روي الراء المكسور يعبّر عن تكرار المشهد ، واستمرار حدوثه وتواليه دونما توقف.

وكأني بالشاعرة تقف مؤبنة زوجها بتعداد صفاته ، ومناقبه مستشهدة على ذلك باستحضار صورة من صور الطبيعة والطرد، ويوم من أيام خروجه للصيد ، ومشهد من مشاهد القوة والسيادة ، فتهدأ نفسها ، ويطمئن قلبها بأن لها مع الذكريات وقفات ونسمات.

ومع هذا كله تلازمها حركة الكسر في الروي فتعكس الاحساس بالانكسار أمام نوائب الدّهر ، ومجريات الأقدر ، مهما حاولت أن تخفيه ، تجده يلوح من وراء الظلال لكي يلون المشهد بلون القتامة والحزن .

الخاتمة

وبعد هذه الرِّحلة الماتعة في شعر رثاء الزَّوج عند الخِرْنِق يمكنني أن أُجمل النتائج التي انتهيت إليها من خلال البحث في الآتي :

أ–الشَّاعرة عندما أفصحت عن مكنون نفسها ، وعبّرت عن حزنها بصدق لفراق زوجها حطّمت ما عُرف عن المرأة العربية بصفة عامة ، والجاهلية بصفة خاصة من أنَّها تتكفئ على أحزانها ، وتكون حبيسة مواجعها ، وتحاول إخفاء ضعفها ، وانكسارها أمام تقلبات الزَّمن وتصاريف الحياة .

ب– عندما أفصحت الشَّاعرة عن عواطفها الحزينة لفراق زوجها كشفت عن نظرة المرأة العربية الجاهلية للرَّجل ، واحترامها لمكانته ، وتقديرها له ، وموقعه من نفسها ومن نفس كل امرأة تُشبهها في البيئة العربية .

ج– استطاعت الشَّاعرة من خلال رثائها لزوجها أن تُعبر عن نفسها وعن غيرها ومجتمعها وقبيلتها ، فخالفت بذلك الفكر القائل بأنَّ الفنان نرجسيٌّ بطبعه ، وأن الأنا تعظم لديه ويتلاشى المجموع .

د– شعر الخِرْنق صورة من حياتها مثّلت من خلاله شخصية المرأة العربية أصدق تمثيل عندما شعرت بالمسؤولية الملقاة عليها ، وقامت ، فهبّت تدافع عن قومها ، وتستنهض من بقى منهم لنصرة القبيلة وتصحيح المسار.

هـ– لجأت الشَّاعرة في رثائها لزوجها إلى محاولة تطبيب جراحها ، و تَهْدأة نفسها عندما عوّلت على الأقدار السبب في فراق الزَّوج ، فجعلت قتله تنفيذًا لحتمية القدر الذي يقف الإنسان أمامه عاجزًا ، ولا يستطيع أن يفعل شيئًا . كصورة من التسلّي والتصبر والعزاء .

و– تعمّدت الشَّاعرة التَّصريح بذكر الأماكن ، وأسماء الأشخاص والأيَّام أثناء رثائها لزوجها ، وهذا لا يُفيد أحدًا غيرها لأنَّه ؛ يعني لها ذكرى ، وحدثا ،

وأزمة نفسية ، ولواعج شوق تهفو إليها . كما يعني لها حياة جديدة بائسة فرضت نفسها عليها ، ومطلوب منها التكيّف معها .

ز- وظّفت الشَّاعرة استخدام الأساليب الإنشائية بمهارة فائقة في التَّعبير عن شُحنات انفعالية كامنة في نفسها ، وظهر ذلك بوضوح في كثرة استخدامها لأسلوب الاستفهام الذي يدل في وقت الفقد على البحث عن الذَّات ومُحاولة تلقي الصَّدمة .

ح- استخدمت الشَّاعرة الألوان باحترافية عالية معبرة من خلالها عن الواقع السَّوداوي الذي تعيشه ، فوصفت الكحل في أعين نساء القبيلة واعتبرته علامة على الزِّينة وآية الجمال اللذين ذهبا بفقد الزَّوج .

ط- كانت الشَّاعرة مُنْصفة عندما وصفت قاتل زوجها بأنَّه قوي وشجاع ، وهذا هو الظاهر من الأسلوب أما باطنه ، فقصدت من خلاله أن تصف زوجها بالقوة والشجاعة ، فلم يستطع النيل منه إلا فاتك جريء.

ي- عبّرت الشَّاعرة عن حجم الصَّدمة النَّفسية التي تعرضت لها بفقد زوجها فظهر ذلك في أسلوبها وألفاظها بما يَدلُ على فقدان الثِّقة تجاه الآخرين ، والاحساس بالعجز والحزن العميق هذا بالإضافة إلى الشّعور بفقد الأمل وضياع المثل الأعلى.

ك- تمكنت الشَّاعرة من رسم صور معبّرة للطبيعة من حولها ، وجعلتها تشاركها أفراحها وأتراحها ، مستخدمة بذلك ما يُعرف "بالمعادل الموضوعي" الذي وظفته لتفريغ شحنات الغضب ، والاحساس بالوحدة والضياع والتشرد .

ل- توافقت الموسيقا العروضية ، والايقاعات النَّغمية التي استخدمتها الشَّاعرة في رثاء زوجها ، ونفسها المُنطوية على الحزن الشَّديد، والأسى البالغ ، فاختارت نفسها من البحور العروضية أكملها وأتمها ، فاستخدمت "بحر الطويل " الذي لا يعرف غير صورة التمام ، وآثرت استخدام "بحر الوافر " لوفرة

تفعيلاته حتَّى تُعطي لنفسها مساحة واسعة للتعبير عن مكنونات نفسها ، وأنّات صدرها ، كما استخدمت تفعيلات بحر السريع عندما تحدثت عن مشاهد الصيد والطرد التي سخرتها لبيان مناقب زوجها ، وما كان يتمتع به من الصفات والخلال .

وألزمت نفسها بكسر حركة حرف الروي دائما ، فلم تعرف غيره معبرة بذلك عن صادق الحزن والأسى ، والانكسار أمام نوائب الدّهر وتقلبات الأيّام .

هذا ... وللبحث توصيّات ومقترحات أجملها في الآتي :

أ–ضرورة الاستفادة من الدِّراسات النَّفسية الحديثة في فهم الأعمال الأدبية والشِّعر منها خاصة ، والشِّعر الجاهلي بالأخص ، ومكافحة الرأي القائل بأنَّه لا يجوز أن يُفسّر الأدب القديم في ضوء المعارف الحديثة مادام هذا الأدب لم يشهد هذه المعارف ولم يُعاصرها .

ب– الاهتمام بدراسة الأدب الجاهلي . فمازال باب الدراسة فيه مفتوحا لمن يريد أن يُنقّب عن كنوزه ونفائسه .

ج– كما أوصي الباحثين بضرورة الاهتمام بدراسة الشِّعر النَّسوي على اختلاف أغراضه وعصوره ، ووضعه في قالب يتناسب والطبيعة النَّفسية للمرأة ، وتركيبتها السيكولوجية .

د– كما أقترح على الباحثين تحقيق شعر جليلة بنت مُرّة وجمعه في ديوان محقق ومطبوع يسهل الاطلاع عليه ودراسته ، والموازنة بينه وبين شعر الخِرْنِق .

والله أسأل التوفيق والسداد لي ولغيري من الباحثين في الأدب ، والمَعنيّن بدراسة قضاياه وفنونه ونقده .

والحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

أولًا : المصادر :

-القرآن الكريم.

-ديوان الخِرْنِق بنت بدر بن هِفَان – تحقيق: د/ حسين نصار – ط- دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٩٦م.

ثانيًا : المراجع :

-أشعار النساء – المرزباني – حققه وقدم له : د/ سامي العاني – هلال ناجي ط- عالم الكتب

-أعلام النساء – د/ محمد التونجي – ط- دار العلم للملايين – بيروت – لبنان

-أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام – عمر رضا كحالة – ط- مؤسسة الرسالة

-الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة – د/ مصطفى سويف – ط- دار المعارف –مصر ١٩٥١م .

-الأعلام – خير الدين الزركلي – ط- دار العلم للملايين – بيروت – لبنان

-البعد النفسي في الشعر الفصيح والعامي – قراءة في الظواهر والأسباب – تأليف : وعد عباس – ط- مؤسسة هنداوي للطبع والنشر .

-التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا – المبرد – تقديم وتحقيق : إبراهيم الجمل – مراجعة : محمود سالم –ط- نهضة مصر .

-التفسير النفسي للأدب – د/ عز الدين إسماعيل – ط- مكتبة غريب – مصر – الطبعة الرابعة

-الحماسة – البحتري – تحقيق د/ محمد إبراهيم حوّر – د/ أحمد محمد عبيد –ط– هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث –ط– ٢٠٠٧

-الشعر النسائي في أدبنا القديم – د/ مي يوسف خليف – ط– مكتبة غريب – مصر

-الشعر والشعراء – ابن قتيبة الدينوري – تحقيق : أحمد محمد شاكر – ط– دار المعارف – مصر – وطبعة دار الكتب العلمية – بتحقيق د/ مفيد قميحة .

-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – ابن رشيق القيرواني – تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد – ط– مطبعة السعادة – مصر

-المرأة في الشعر الجاهلي – د/ أحمد الحوفي – ط– دار نهضة مصر الطبعة الثالثة – ١٩٨٠

-أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية – د/ محمود مصطفى – شرح وتحقيق د/ سعيد اللحام – ط– عالم الكتب – بيروت – لبنان

-تاريخ الأدب العربي – كارل بروكلمان – نقله إلى العربية د/ عبد الحليم النجار – ط– دار المعارف مصر الطبعة الخامسة

-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب –البغدادي – تحقيق وشرح : عبد السلام هارون – ط– مكتبة الخانجي – مصر .

-ديوان الخنساء – شرح : أبي العباس ثعلب – تحقيق : د/ أنور أبو سويلم – ط– دار عمّار – عمّان – الأردن – الطبعة الأولى ١٩٨٨

-ديوان حسان بن ثابت – شرحه وقدم له الأستاذ : عبدأ مهنا – طبعة – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

-رياض الأدب في مراثي شواعر العرب – لويس شيخو – ط المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين – بيروت – لبنان

-سنن الترمذي – ط- دار الفكر – بيروت – لبنان

-شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام – بشير يموت – ط- المكتبة الأهلية – بيروت – لبنان .

-صحيح البخاري- حقق أصوله ، ووثق نصوصه : طه عبد الرؤف ط : مكتبة الإيمان.

-قطوف من أوزان الشعر العربي وموسيقاه – أ د / صابر عبد الدايم – ط- مطبعة الإسراء – مصر

-معجم المصطلحات الأدبية – إبراهيم فتحي – ط -

-معجم علم النفس والتحليل النفسي – تأليف : فرج طه وآخرون – ط- دار النهضة العربية – بيروت – لبنان ط- الأولى

-من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده – د/ محمد خلف الله أحمد – ط- لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٧

-نقد الشعر – قدامة بن جعفر – ط- مطبعة الجوائب – قسطنطينية – الطبعة الأولى.

-البعد النفسي في شعر مالك بن الريب التميمي – د/ محمد عبد الدايم الاجوري – نشر مركز اللغات والترجمة – أكاديمية الفنون .

-لسان العرب – ابن منظور المصري – ط- دار المعارف – مصر.

ثالثًا : المجلات والدوريات العلمية :

-مجلة آفاق حُرّة – عدد ابريل – ٢٠١٦

-مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب – العدد ٢– ٢٠١١

-مجلة الجامعة العراقية – العدد ٤٣– ٢٠١٩

-صحيفة الرأي الكويتية ٢٠١٥

-مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد ٣٨الجزء الأول.

-صحيفة الرأي الكويتية ٢٠١٥

-مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – ١٩٣٩

-مجلة كلية الآداب – جامعة الوادي الجديد – العدد السابع عشر

- مجلة كلية الآداب – جامعة حلوان – عدد يونيو ٢٠٢٠

رابعًا : مواقع الشبكة العنكبوتية (الانترنت)

-leitfaden trauma arabisch- wob-207-06

-tramapsycholagy-محاضرات في علم نفس الصدمة

-موقع أكاديميا العربية – الصمود النفسي وعلاقته باستراتيجيات مواجهة تحديات الحياة المعاصرة لدى النساء الأرامل بقطاع غزة – إعداد د/ عايدة شعبان – د/ ياسرة أيوب

-موقع هيرنيوز – سبتمر ٢٠٢٢

-شبكة الألوكا – قسم الكتب

محتويات البحث

الموضوع

رقم الصفحة

المقدمة

التمهيد

تجليات البعد النفسي في رثاء الخرنق لزوجها

الفصل الأول

الشاعرة بين عصرها ورثائها لزوجها

التعريف بالشاعرة

طوابع عصرها

نظرة عامة في رثاء الزوج في الشعر العربي

الفصل الثاني

الدراسة الفنية النفسية في شعر رثاء الزوج عند الخرنق

القصيدة الأولى " صور وشخصيات "

المقطوعة الثانية " ندب الزوج"

القصيدة الثالثة " الفخر بالزوج والقبيلة"

المقطوعة الرابعة "صوت الذكريات "

المقطوعة الخامسة " تأبين ووفاء"

المقطوعة السادسة " مشاهد من الطبيعة والطرد"

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع.